خلافة الرسول

بين الشورى والنص



خلافة الرسول بين الشورى والنص

كاتب:

مجله حوزه

نشرت فى الطباعة:

مجله حوزه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

خـلافة الرسول بين الشورى والنص

اشارة

المولف : مجله حوزه

الناشر : مجله حوزه

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيمالحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف مبعوث للعالمين، نبينا محمد المصطفى وعلى آله الطيّبين الطاهرين، ومن أخلص لهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الـدين. وبعد:فقد أصبح من البداهة والضرورة بمكان أنّ أيّ قائدٍ من القوّاد ـ المخلصين لمبادئهم وشعوبهم ـ لا يعقل أن يترك أُمّته وأتباعه من بعده هملاً وبلا راع... ولذا نراهم ـ دائماً ـ يفكّرون في من يخلفهم عند غيابهم ـ حتى في المدة القصيرة ـ ليقوم بالوظائف والمهام اللازمة.وإذا كان ترك الأُمّة سدىً من سائر القادة مستحيلاً، كان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستحيلاً بالأولوية القطعية، فإنّه سيد العقلاء وأشرف المخلوقين من الأولين والآخرين، وشريعته أفضل الشرائع، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.إذن، لابدّ من خليفةٍ له يخلفه في أُمّته، ولابدّ أيضاً من أن يكون هو ـ قبل غيره ـ المهتمّ بهذا الأمر.لاشك وأن الأُمّة يوم فقدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتذكّر ما رأته وما سمعته من خلال أيام رسالته في هذا المجال، لا سيّما أيامه الأخيرة حيثُ أوصى بأشياء، فإنّهم كانوا يحفظون وصاياه تلك ـ في الأقل لقرب العهد بها ـ وهي الوصايا التي ما زالت الأُمّة تحتفظ بها حتى يومنا هذا. [صفحه ۶] فهل كان الذي سمعوه منه وحفظوه هو (النص) على واحدٍ معيّنٍ من بعده، أو ترك الأمر إلى الأُمّة نفسها لتختار له خلفاً يقوم بوظائفه وشؤونه؟وعلى الجملة، فهل الأساس في الإمامة والخلافة ـ على ضوء الكتاب والسُنّة ـ هو (النص) أو (الشورى)؟ولكنا إذا ما عدنا إلى خلفيات الواقع التاريخي لمسألة الخلافة في الإسلام، ودرسناها بحياد تام؛ لوجدناها قد حسمت بعيداً عن كلا الامرين وذلك باجراء سريع عاجل على أثر مبادرة جماعة من الانصار مع نفر قليل من المهاجرين إلى اجتماع السقيفة في وقت انشغال المسلمين وعلى رأسهم أهل البيت عليهم السلام وبنو هاشم كلهم بتجهيز النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والقاء النظرة الأخيرة على الجسد المطهر العظيم ومن ثم مواراته الثرى في موكب حزين.ومع قلّة المجتمعين في السقيفة فان مادار بينهم لم يسفر عن رضا الجميع ولا ـ عن اتفاقهم أو تشاورهم، بل تطاير الشرُّ فيها، وكانت بيعتهم ـ كما قال عمر ـ (فلتة وقى الله شرّها).وهذا يعني ان الشورى لم تتحقق بين أصحاب السقيفة أنفسهم فضلاً عمن غاب عنها ورفضها كأهل البيت عليهم السلام، وأصحابهم، وبني هاشم كلهم، والامويين أيضاً كما يدلّ عليه موقف عميدهم، فهذا هو الواقع التاريخي الذي ساد بعد اجتماع السقيفة.ولأجل صيانته، والحفاظ على كرامة السلف الماضين حاولت طائفة التنظير لمسألة الخلافة من خلال ذلك الواقع فتشبثت بالشورى، لكن لما اصطدمت بالواقع التاريخي الذي أشرنا إليه، عادت إلى النص... [صفحه ۷] وحينئذٍ يأتي البحث عن من هو (المنصوص عليه) من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟وهذا الكتاب الذي نقدمه باعتزاز إلى القراء قد أُجريت فيه موازنة دقيقة، وحوار علمي بين منطق أصحاب (الشورى) وبين منطق أصحاب (النص والتعيين)، مع ايراد أقوى ما يمتلكه الطرفان من الأدلة ومناقشتها بحياد وموضوعية، مع بيان أي من المنطقين هو المتماسك وأيُّهما المتهافت.نترك للقارئ والباحث حريّة اختيار ما توصل إليه البحث من نتائج في ضوء استخدام المصادر المعتبرة، مع أصالة المنهج المتبع، وقوة التحليل.والله الهادي إلى سواء السبيلمركز الرسالة [صفحه ۹]

تمهيد

لا تزال مشكلة (أساس نظام الحكم فى الإسلام) تُعدّ من أُمّهات المشاكل التى لم يُحسم فيها القول بين المسلمين بعد..إنّها واحدة من المشاكل الكبرى التى تعرّضت دائماً لإشكالات الرُؤى المذهبية، شأنها شأن أخواتها من المشكلات التاريخية والعقيدية.ليس النزاع فى أصل النظام، فإنّ أحداً لا يستطيع أن يتصوّر أُمّة تحيا بلا نظام، ونظاماً يسود بلا قيادة..وقديماً تحدّث الفقهاء وفلاسفة السياسة المدنية عن هذا الأصل:ـ فأحمد بن حنبل يُعرّف الفتنة بأنها حال الأُمّة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس.ـ وتحدّث المسعودى عن حاجة الدين إلى الملك، وحاجة الملك إلى الدين، ورأى أنّه لا ـ غنى لأحدهما عن الآخر..ـ ورأى ابن حزم أنّ ذلك معلوم بضرورة العقل وبديهته، وأنّ قيام الدين ممتنع غير ممكن إلّا بالاسناد إلى واحد يكون على رأس هذا النظام.ـ وعبّر ابن خلدون عن هذا النظام بأنّه قوانين سياسية مفروضة يسلّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، فإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها (سُنّة الله فى الذين خَلَوا من قبل) [۱] . [صفحه ۱۰] وقبل هذا كلّه قد تعامل المسلمون مع هذا الأصل كضرورة واقعية إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.أما النزاع الدائر فهو فى أساس ذلك النظام.. فى الاسلوب الذى يقود رأس النظام إلى موقع الرئاسة..لقد حاول البعض على امتداد تاريخنا السياسى التركيز على نظرية الشورى أصلًا فى النظام، مستنداً على أمثلة تاريخية معدودة، صاغ منها أنموذجاً للشورى فى الإسلام.وتناولت ذلك كتب العقائد والأحكام السلطانية ثم تقدّمت به خطوة أُخرى إلى أمام لتنتزع لهذه النظرية أصالتها من مصادر التشريع الإسلامى؛ القرآن والسُنّة.. لتكتسب نظرية الشورى بعد ذلك أصالة دينية متقدمة على شهودها التاريخى، بل ومبرّرة له.وكلّ ذلك يدور حول الخلافة الأُولى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. فشكّل الاتجاهان ـ دراسات التاريخ السياسى، والدراسات العقيدية ـ وحدة موضوعية كافحت على امتداد هذا الزمن الطويل من أجل تدعيم تلك النظرية وتأصيلها..لكن هل استطاعت هذه المسيرة المتوحّدة أن تُقدّم الكلمة الأخيرة فى الموضوع، وتضع الحل الحاسم للأسئلة التى تثار حوله؟هل استطاعت أن تثبت أصالة الشورى طريقاً إلى خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟هل استطاعت أن تثبت ما هو أوسع من ذلك؛ أصالة الشورى فى حل [صفحه ۱۱] مشكلة النظام السياسى فى الإسلام؟هل استطاعت أن تنفى الأُطروحات الأُخر المزاحمة للشورى، من قبيل: النصّ، والغلبة وغيرها؟ما هو مستوى النجاح الذى حققّته فى كلّ واحد من هذه الميادين؟وماذا عن قدرة الاطروحات الأُخرى على منازعة نظرية الشورى والحلول محلّها بديلًا فى تعيين أساس نظام الحكم فى الإسلام؟مواضيع عديدة تتفرّع عن هذه الأسئلة الكبيرة تبنّى هذا البحث المقتضب دراستها ومناقشتها، مناقشة موضوعية عُمدتها البرهان العلمى والدليل الحاسم، بعيداً عن الالتفاف على النصوص، وتحويل القطعى إلى ظنّى، والصريح إلى مؤوّل، والخاص إلى العام، والصحيح إلى ضعيف، ونحو ذلك من أساليب الجدل..ويقع البحث فى قسمين رئيسيين؛ يتناول القسم الأول نظرية الشورى من جميع وجوهها، فيدرس الشورى فى القرآن والسنة، ثم الشورى فى واقعها التاريخى وفى الفقه السياسى، مع أهم ما يتّصل بهذه العناوين من مباحث.فيما يتناول القسم الثانى (نظرية النصّ) وفق المنهج نفسه، مستوفياً ما يتعلّق بهذا الموضوع بحثاً ونقداً.ليخلص إلى النتيجة التى يقررّها البحث فى كلا قسميه..والله المسدّد للصواب [صفحه ۱۵]

الشورى

الشورى فى الكتاب والسنة

ثلاثة نصوص فى القرآن الكريم تتحدث عن الشورى، ولكن على مستويات مختلفة:النصّ الأول:قوله تعالى فى شأن الرضاع: (والوالدات يرضعنَ أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف... فإن أرادا فصالاً ـ عن تراضٍ منهما وتشاور فلا ـ جناح عليهما) [۲] .وهذا حديث فى أجواء الأُسرة الواحدة، يتشاور الأبوان فى شأن وليدهما الرضيع، هل تُتمّ أُمّه رضاعه إلى الحولين، أم تفصله عن الرضاع؟ تفاهم ثنائى فى مسألة على ضوء المعرفة بحال الأم وحال الرضيع،

وجوّ الأُسرة العامّ، ينتهى إلى قرار مشترك لا إكراه فيه.وربما انتهى قرارهما بعد التشاور إلى أن يسترضعا له مرضعة غير اُمّه، قال تعالى (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف واتّقوا الله واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير) [۳] . [صفحه ۱۶] فهذه الآية الشريفة تعالج قضيّةً من قضايا الأسرة، وما يتعلّق منها بالرضيع خاصّة، ضماناً لمصلحته، وحفاظاً على سلامة الجوّ الأُسرى الذى قد يحطّمه استبداد أحد الزوجين بالامر كلّه [۴] .النصّ الثانى:فى الحديث عن غزوة اُحد وما انتهت إليه من هزيمة القسم الأعظم من جيش المسلمين وتركهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مع بضعة نفر من أصحابه يكافحون العدوّ لوحدهم، ممّا هو مدعاة لإشعارهم بتقصيرهم الشديد وذنبهم الكبير الذى ارتكبوه، خصوصاً وأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج إلى اُحد إلّا برأيهم ورغبتهم وإلحاحهم، لكنّ الـذى وجدوه من النبىّ القائد صلى الله عليه وآله وسلم هو عكس ما يظنّون ممّا هو معتاد لدى القادة إزاء الجند المنهزم عن قائده ساعة الحرب! وجدوا منه صلى الله عليه وآله وسلم ليناً معهم وإكراماً زادهم شعوراً بالتقصير حين لم يلجئهم إلى التماس الأعذار، أو التذلّل.فبارك الله تعالى هذا الخُلق الكريم، وهذا السلوك الحكيم، إذ جاء التنزيل: (فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك) [۵] فإنّما كان لينك معهم وغضّك عن ذنبهم برحمة من الله تعالى، وأىّ رحمة، أىّ رحمةٍ هذه التى جعلتك تلين لجند أخرجوك إلى القتال برأيهم، فلمّا حمى الوطيس فرّوا عنك ونجوا بأنفسهم؟!وإتماماً لهذه الرحمة الواسعة، تنزّل الأمر الالهى بما يدعو إلى إعادة [صفحه ۱۷] المجتمع الاسلامى إلى تماسكه الأوّل، بل أكثر، وإعادة هذا الرعيل الكبير إلى موقع إجتماعى طبيعى يستطيع من خلاله أن يستأنف نشاطه ويصحح عثرته، فقال تعالى: (فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) [۶] فلم تقف الرحمة عند اللين والعفو والاستغفار، بل امتدت إلى مشاورتهم فى الأُمور التى تصحّ المشاورة فيها، عندئذٍ فقط سيجدون أنفسهم أعضاء فاعلين فى هذا البناء الاجتماعى الذى ينشده الإسلام.لكنّ التنزيل لم يترك الأمر بالمشورة مرسلاً، بل وضع له نظاماً واضح المعالم، فالنبىّ القائد المستشير حين يعزم على أمرٍ فيه الصواب والصلاح ينبغى أن ينفذ فيه، سواء كان موافقاً لآراء المستشارين أو مخالفاً لها: (فإذا عزمت فتوكّل على الله) [۷] .موضوع الشورى وأهدافها:الشورى التى دعت إليها هذه الآية الكريمة ما هو موضوعها؟ وما هى أهدافها؟ بعد أن عرفنا أنّ الشورى فى المورد الأوّل كان موضوعها الرضاع، وأهدافها: ضمان مصلحة الرضيع، وسلامة المحيط الأُسرى.إنّ الشورى هنا مختلفة عن الأُولى، فالمستشير هنا هو النبىّ القائد صلى الله عليه وآله وسلم، والمستشار هم جمهور الناس من أصحابه.فما هى الأُمور التى كان صلى الله عليه وآله وسلم مدعوّاً لاستشارتهم فيها؟ أهى أمور الدين، أم أُمور الدنيا؟ [صفحه ۱۸] ولأى شىءٍ هذه المشورة، ألأجل أن يستنير بآرائهم ويهتدى بها إلى الصواب؟ أم ماذا؟ للمفسّرين هنا كلام تتّفق معانيه وأدلّته كثيراً، وتختلف قليلاً، فمّما اتّفقوا فيه كلامهم فى حدود الاجابة عن سؤالنا الأوّل؛ أىّ الأُمور هذه التى يستشيرهم فيها؟قال الشوكانى ـ وقوله جامع لأقوال المفسّرين ـ (إنّ المراد أىّ أمرٍ كان ممّا يشاوَر فى مثله، أو فى أمر الحرب خاصّة كما يفيده السياق... والمراد هنا المشاورة فى غير الأُمور التى يرد الشرع بها) [۸] .فالمشاورة إذن ليست فى أمور الدين والأحكام، فهذه من شأن التنزيل وحده، وليست محلاًّ للرأى والنظر.فموضوع المشاورة إذن هو أمور الدنيا، وقد تقدّم أنّ السياق يدلّ على أنّ المراد هو شأن الحروب وخططها، وليس السياق وحده يدلّ على هذا، بل التاريخ أيضاً أثبت أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار أصحابه فى بعض شؤون الحرب، كالذى حدث فى اختيار لقاء العدوّ يوم بدر، وفى أُسارى بدر، وفى الخروج إلى اُحد، وفى الخندق.أمّا وراء شؤون الحرب، فإن حصل فنادرٌ جدّاً، وحتى شؤون الحرب لم تكن كلّها خاضعة للشورى، بل كان قرار النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى اختيار الحرب وتحديد مكانها وزمانها حاسماً وسابقاً لأىّ مستوى من مستويات الشورى، وهو قرار باق وحاكم حتّى لو كثر فيه الخلاف، كما هو واضح جدّاً فى بعثة اُسامة، وفى اختيار زيد بن حارثة أميراً على جيش مؤتة ولو [صفحه ۱۹] بعد جعفر بن أبى طالب، وفى عقد الصلح فى الحديبية مع مشركى قريش، وغير ذلك كثير.وسوف يطلّ علينا البحث فى أهداف هذه الشورى بمزيد من الوضوح فى موضوع الشورى ومساحتها.أمّا أهداف هذه الشورى:فتطالعنا بها أحاديث مرفوعة إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأقوال لقدماء المفسّرين أو متأخّريهم.. ومن مجموع ما ورد يظهر لهذه الشورى بعدان:البعد الأول:نكتشفه فى

النصوص الآتية:ـ عن قتادة، قال: (أمر الله نبيّه أن يشاور أصحابه فى الاُمور، وهو يأتيه وحى السماء، لاَنّه أطيب لاَنفس القوم، وأنّ القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بـذلك وجه الله عزم لهم على الرشدة) [٩] .إنّه إذن أمر للقائد أن يشاور قومه وأصحابه، لما فى ذلك من المنافع المذكورة.ـ وعن الحسن، قال: (قد علم الله أنّه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنّ به من بعده) [١٠] .فهى إذن سنّة من السنن المُلزمة للقائد، مارسها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليكون من [صفحه ٢٠] بعده من القادة أولى بممارستها والرجوع إليها.ـ قال الرازى: (ليقتدى به غيره فى المشاورة، ويصير سنّة فى اُمّته) [١١] .فنحن مازلنا فى دائرة واحدة، وهى دائرة الشورى التى يمارسها القائد فى تخطيطه السياسى والاجتماعى والتنظيمى، مع قواعد شعبية واسعة، أو مع طليعة ممتازة، أو مع واحد تميّز بخبرة خاصّة فى شأن من الشؤون التى يمكن أن تتسع لها الشورى، من غير الاحكام والتشريعات وما تخصّصت النصوص الشرعية فى بيانه.إذن نحن إزاء شورى يمكن أن نطلق عليها اسم (شورى الحاكم).هل اتّخذت هذه الشورى نظاماً ثابتاً؟:منذ أن نزلت هذه الآية الكريمة وحتّى وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هل اتّخذت الشورى شكلاً معيناً ونظاماً ثابتاً؟ومن كافّة أمثلة الشورى وتطبيقاتها ـ ومعظمها فى شؤون الحرب ـ نجد أنّ النبيّ القائد صلى الله عليه وآله وسلم كان يختار للمشورة أحياناً من يشاء، وأحياناً يستمع إلى مشير يبدى رأيه ابتداءً، دون أن ينتخب أشخاصاً بأعيانهم للمشاورة فى النوازل..ـ فيوم الخندق؛ أشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بحفر خندق حول المدينة، فأخذ برأيه، وأمر بحفر الخندق، فحُفر، وعاد على الإسلام والمسلمين بكلِّ خير.. [١٢] . [صفحه ٢١] ـ وأيّام الخندق ذاتها؛ أراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يفتّ فى عضد الاحزاب ويفرّق شملهم ليخفّف على أهل المدينة ضنك الحصار، بأن يصالح كبير غطفان عيينة بن حصن على سهم من ثمر المدينة لينسحب بمن معه من غطفان وهوازن ويخذل الاَحزاب، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الاَمر سيّدى الاَوس والخزرج من الاَنصار: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فاستشارهما فى ذلك، فقالا: يا رسول الله، إن كنت اُمرتَ بشىء فافعله وامضِ له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلاّ السيف.فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لم اُؤمر بشىء، ولو اُمرت بشىء ما شاورتكما.. بل شىء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لاَنّنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كلِّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما». وسُرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهما، فقال لعيينة بن حصن، ورفع صوته بها «ارجع، فليس بيننا وبينكم إلاّ السيف» [١٣] .وفى هذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد اختبر صبر الانصار وثباتهم وصدق إيمانهم.كما كشف هذا الحوار صراحةً أنّه لا محلّ للشورى فى ما كان عن أمر من الله ورسوله.ـ وفى حدثٍ ثالث كان المستشار على عليه السلام وزيد بن حارثة، ذلك حين كان حديث الإفك.ـ وفى حدثٍ رابع استمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشورة امرأة واحدة، هى أُمّ [صفحه ٢٢] المؤمنين اُمّ سَلَمة، ذلك يوم الحديبية، بعد إمضاء الصلح، إذ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أن ينحروا ما معهم من الهدى الذى ساقوه، فلم ينحر أحد، فبان الغضب بوجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعاد إلى خيمته، فقالت له اُمّ سَلَمة، لو نحرتَ يا رسول الله، لنحروا بعدك.. فنحر صلى الله عليه وآله وسلم هديه، فنحروا بعده [١٤] .هذه هى أشهر نماذج الشورى التى يعرضها التاريخ، بغضّ النظر عن صحّة أسانيدها أو ضعفها، منذ نزلت آية الشورى هذه حتّى قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.. فليس هناك شىء أكثر ممّا كان قبل نزولها.. وليس هناك نظام محدّد، ولاـ أشخاص معيّنون.. ليس هناك أثر لما دعاه البعض (هيئة العشرة)..تلك هيئة ليس لها أثر أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّها، ولا استطاع مدّعيها [١٥] أن يأتى بشاهد تاريخى واحد على وجودها فى أيام النبيّ (ص)، ولا يستطيع أن يأتى بشاهد واحد يؤيّدها من حياة أبى بكر كلّها وحياة عمر كلّها، حتّى اختياره الستة المعروفين لشورى الخلافة!وأضعف من هذه الدعوى ما جاء فى محاولة البرهنة عليها من أشياء متكلّفة، واُخرى لا واقع لها، واُخرى تفيد نفيها بدلاً من إثباتها!ومن أنكر وأغرب ما استدلّ به، وهو يراه أقوى أدلّة الإثبات، ثلاثة أشياء، هى: [صفحه ٢٣] الاَول: قوله: يتحدّث سعيد بن جبير عن هذه الحقيقة الهامّة، فيقول: (وكان مقام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف وابى عبيدة وسعيد بن زيد، كانوا أمام رسول الله فى القتال ووراءه فى الصلاة). ثم يستنتج من هذا القول أنّ هؤلاء العشرة لم يكونوا فقط وزراء الرسول ومجلس شوراه، وانّما كانوا يديمون

الوقوف خلفه مباشـرة فى الصلاة، كما يلتزمون الوقوف أمامه عند الحرب والقتال [١۶] .إننا بغضّ النظر عن صـحّة نسبة مثل هذا القول إلى سـعيد بن جبير، أو عـدمها، لو سألنا الباحث أن يكتشف لنا حرباً واحـدةً فقط من حروب الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وقف فيها هؤلاء العشـرة أمام النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم وقت القتال، لعاد بعد بحث طويل فى خيبة أمل!الثانى: قوله: هؤلاء العشرة فيهم أوّل ثمانية دخلوا فى دين الِإسـلام، فهم أوّلون فى الِإسلام، ومهاجرون [١٧] وهذا كلام مع ما فيه من تهافت فهو دعوى غير صـحيحة أيضاً.. فهل كان سـبق الثمانيـة إلى الِإسـلام هو الذى رفع الاثنين الآخرين؟!ثمّ أين هذا السـبق، وكلّهم ـ ما خلا علىّ ـ مسـبوق؟! إنّهم، غير الإمام على عليه السـلام، مسبوقون إلى الِإسلام، سبقتهم خديجة، وجعفر بن أبى طالب، وخالد بن سعيد بن العاص، وأخوه عثمان، وسـبقهم زيد بن حارثة، وسـبقهم أبو ذرّ الغفارى خامس الِإسلام، وسبقهم آخرون [١٨] . [صفحه ٢۴] الثالث: وهو أكثرها نكارة، ما نقله عن المستشـرق فان فلوتن، بعـد أن قـدّم له بسؤال مثير، فقال: (ولكن هل خرجت الشورى على عهـد رسول الله من النطاق الفردى غير المنظّم، إلى نطاق التنظيم المحكوم بمؤسّسة من المؤسّسات؟).فلمّا لم يجد لهذا التساؤل الهام جواباً من التاريخ، تعلّق بالخطأ الذى وقع فيه فان فلوتن لسوء فهمه لمفردات العربية، فحين قرأ عن أصـحاب الصـفّة وهم المقيمون فى المسـجد على صفّة كبيرة فيه، والبالغ عـددهم سـبعين رجلاًـ ظن أنّ الصـفّة تعنى (الصـفوة)! فظنّ أنّ صـفوة الصـحابة كـانوا سـبعين رجلاًـ لاـ يفارقون المسـجد كمؤسّسـة اسـتشارية تتّخذ من المسـجد مقرّاً لها، ولم يفهم أنّ أصـحاب الصـفة هؤلاء هم أضعف المسلمين حالاً، لا يملكون مأوىً لهم فاتخذوا المسـجد مـأوى!!وليس هـذا بمسـتغرب من مستشـرق لا يتقن العربيـة، ولا تعنيه فداحـة الخطأ العلمى بقـدر ما يعنيه الادلاء برأيه.. لكنّ المستغرب أن يأتى باحث كبير كالشيخ محمد عمارة فيعتمد هذا الخطأ العلمى مصدراً لتثبيت قضية هامّة كهذه، قائلًا: (نعم، فهناك ما يشير إلى وجود مجلس للشورى فى عهد الرسول كان عدد أعضائه سبعين عضواً) ويصرّح أن مصدره فان فلوتن [١٩] .أنتم أعلم بأُمور دنياكم!:هذا وجه آخر من وجوه تفسير مشاورة الرسول أصحابه: إنّ علوم الخلق متناهية، فلابدّ أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح مالا يخطر [صفحه ٢۵] بباله صلى الله عليه وآله وسلم لا سيّما فى ما يُفعل من أُمور الدنيا، ولذلك قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» [٢٠] .لكنّ هـذا وجه مردود من أوّل نظرة، حتّى على فرض صـحّة الحديث «أنتم أعلم بأمور دنياكم».. ذلك أنّ هذا كان فى واقعة محدّدة، هى قضـية تأبير النخل فى عام من الَاعوام، وقضـية مثل هـذه لا تـدخل فى شؤون النبوّة ولا فى شؤون القيادة السـياسة والاجتماعية، فلم يكن قائـد من قوّاد الُامـم مسؤولاًـ عن نظام تأبير النخل! أو عن إصـلاح شؤون بيوت الناس من ترتيب أثاثها وترميم قـديمها! أو كيفية خياطـة الثيـاب! أو طريقـة رصف السـلع فى الَاسواق!هـذه هى أمور دنيا الناس التى يباشـرونها بأذواقهم وبخبراتهم الخاصـة الخاضـعة لظروفها الزمانية والمكانية.أمّا أن يقال إنّ من الناس من هو أعلم من النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم بشؤون سـياسة الدولة، وأقدر منه على تقدير مصالحها وحفظها، فهذا من الفكر الشاذّ الذى لا يسـتقيم ومبادئ الِإسـلام.فمن المسـتنكر جدّاً أن يسـتفاد من حديث «أنتم أعلم بأُمور دنياكم» انّهم أعلم منه بسـياسة البلاد وبتخطيط النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية!إنّه لا يتجاوز فى معانيه تلك الَامثلة المتقدّمـة فى شؤون النـاس الخاصّـة الـتى يتعاهـدونها بأنفسـهم، وليس القائـد ـ نبيّاً أو غيره ـ بمسؤول عن [صـفحه ٢۶] تنظيمها.إذن فخلاصـة مـا وقفنا عليه فى هـذا البعـد الَاول: أنّ الشورى التى أُمر بها النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم وزاولها إنّما هى شورى الحاكم، القائد، يشاور من يشاء من أهل الخبرة أو أهل الصـلة المباشـرة بالَامر، وليس هناك ما يشـير من قريب أو بعيد إلى اعتماد الشورى فى تعيين رأس النظـام السياسـى والاجتمـاعى فى الِإسـلام، هـذا حتّى لو تحقّق فى التاريـخ وقوع مشـاورة فى مـا يتّصل بخطط سياسـية أو اجتماعيـة.البعـد الثانى:ثمّة بُعد ثانٍ للشورى هو أبعد من الَاوّل عن شؤون النظام السياسـى؛ إنّه البعد الاجتماعى، المتمثّل بمزاولة الناس للشورى فى شؤونهم الخاصّـة، ولم نقـل إنّها ذات بعـد شخصـى فقط، ذلك لَانّها علاقـة بين طرفين، المشـير والمسـتشار، وعلى الثانى مسؤوليته فى النصـح والصـدق والَامانـة، فعادت علاقة اجتماعية، ذات أثر اجتماعى هامّ.ـ فقد روى ابن عباس أنّه لما نزلت (وشاورهم فى الَامر) [٢١] قـال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: «أمـا إنّ الله ورسوله لغنيّـان عنها، ولكن جعلها الله تعالى رحمـةً لُامّتى، فمن اسـتشار منهم لم يعـدم رشـداً، ومن تركها لم يعدم غيّاً» [٢٢] .فلم يكن النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم محتاجاً إلى الشورى فى أُمور

الدنيا ليستنير برأيٍ ويهتدى إلى صواب، بل كان غنيّاً عن ذلك، وإنّما هى رحمة للعباد لئلاّ يركبوا رؤوسهم فى شؤونهم وأعمالهم ويتمادوا بالغطرسة والاعتداد [صفحه ٢٧] بالرأى الذى يوردهم المهالك! ويوضّحه الحديث الشريف عنه (ص): «ما تشاور قوم قط إلاّ هدوا وأرشدَ أمرُهم» [٢٣] .والحديث الشريف: «استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا» [٢٤] .وقد ورد حديث كثير فى الحثّ على المشورة بهذا المعنى، وحديث يخاطب المستشار بمسؤوليته: «المستشار مؤتمن» [٢٥] .«من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشده فقد خانه» [٢٦] .هذا البعد الاجتماعى للشورى هو الذى يبرز فى خطاب النصّ الثالث من نصوصها..النصّ الثالث:قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [٢٧] .جاءت هذه الآية الكريمة ضمن سياق عام يتحدّث عن خصائص المجتمع الاَمثل، قال تعالى:(... وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون - [صفحه ٢٨] والذين يجتنبون كبائر الاَثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون - والذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وممّا رزقناهم ينفقون - والذين إذا أصابهم البغىُ هُم ينتصرون) [٢٨] .فهى ناظرة إلى ظواهر يتميّز بها المجتمع الاِسلامى التى تمثّل أهداف الاِسلام وآدابه، فمع ما يتحلّون به من الايمان، وحسن التوكّل على الله تعالى، واجتناب الكبائر والفواحش، والعفو والمسامحة، والاستجابة لاَمر ربّهم، واحياء الصلاة، وردّ البغى والعدوان، فهم أيضاً (شأنهم المشاورة بينهم.. ففيه الاِشارة إلى أنّهم أهل الرشد واصابة الواقع، يمعنون فى استخراج صواب الرأى بمراجعة العقول. فالآية قريبة المعنى من قوله تعالى: (يستمعون القول فيتّبعون أحسنه)) [٢٩] .وهذه نصوص تؤكد على اهمية التشاور والاسترشاد:وعلى هذا انطلق المفسّرون فى ظلال هذا النصّ يتحدّثون عن استحباب مشاورة الناس لمن أهمّه أمر، والاسترشاد بعقول الآخرين وآرائهم الناضجة، دائرين فى دائرة ذلك البعد الاجتماعى الذى تقدّم آنفاً..«ما تشاور قوم قطّ إلاّ هُدوا وأرشد أمرهم».«استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا».«من أراد أمراً فشاور فيه، اهتدى لاَرشد الاُمور» [٣٠] . [صفحه ٢٩]

شورى الحاكم أيضاً

فى حديث واحد ممّا قيل فى ظلال هذا النصّ، أخرجه السيوطى، منسوباً إلى الإمام علىّ عليه السلام قال: «قلتُ: يا رسول الله، الاَمر ينزل بنا بعدك، لم ينزل فيه قرآن، ولم يُسمَع منك فيه شيء؟قال: اجمعوا له العابد من اُمّتى، واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوه برأى واحد» [٣١] .والبحث فيه على فرض صحّته، علماً أنّه لم يرد فى شىء من مصادر الحديث المعتمدة..فهو حديث عن أمر لم ينزل فيه قرآن، ولم يرد فيه شىء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا قد يستجدّ بعده من اُمور لم يكن لها موضوع، أو ضرورة تدعوه لطرقها وتقديم الاِرشاد فيها.. وهذا موضوع عام لسائر مستجدّات الحياة المدنية والاجتماعية والتنظيمية..ثمّ يأتى جواب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه موجّهاً إلى جهة تتولّى مهامّ القيادة، وتقع عليها مسؤولية الحكم: «اجمعوا له العابد من اُمّتى» فهناك جهة مسؤولة هى التى تتولّى مهمّة جمع الصالحين من المؤمنين للمشاورة.أمّا إذا كان الاَمر قد ورد فيه شىء عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقوله نافذ، ولا محلّ للشورى والرأى فيه.والبحث فى هذا الحديث انما كان على فرض صحته، والثابت أنّه لم [صفحه ٣٠] يصحّ وليس له أصل، قال فيه ابن عبد البر: هذا حديث لا أصل له! وقال الدارقطنى: لا يصحّ! وقال الخطيب: لا يثبت عن مالك [٣٢] .

الشورى فى التاريخ والفقه السياسى

اشاره

الذى يتركّز عليه البحث فى التاريخ وفى الفقه السياسى هو موضوع الشورى فى اختيار الحاكم (خليفة الرسول).وقد ثبت فى البحث المتقدّم أنّ شيئاً ما لم يرد عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ممّا يمكن أن يُلتمس منه ايكال أمر اختيار خليفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشورى، بل الاَدلة الثابتة من الكتاب والسُنّة قائمة على عدم إيكاله إلى أحدٍ من الاُمة مطلقاً. ومما يشهد بذلك أن

النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما عرض الإسلام على القبائل اشترط عليه بعضهم أن يكون الأمر لهم من بعده، فرفض فى تلك الظروف الصعبة هذا الشرط قائلاً: «إنّ الأمر لله يضعه حيثُ يشاء» [۳۳] .وعدم ورود شىء عن النبىّ (ص) فى هذا الموضوع، قضية مفروغ منها، متّفق عليها، لا نزاع فيها.. فمتى ولد التفكير فى اسناد هذا الامر إلى الشورى؟

اول ظهور لمبدأ الشورى

هذا أمر اثبته أصحاب التاريخ وأصحاب الحديث، بلا نزاع فيه ولا خلاف.. اتفقوا على أنّ ذلك مبدأ سنّه عمر بن الخطاب قبل وفاته، وليس [صفحه ۳۱] له قبل هذا التاريخ أثر..قال القرطبى، بعد كلام فى استحباب الشورى: (وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافةَ ـ وهى أعظم النوازل ـ شورى) [۳۴] .وقال ابن كثير: (وأمرهم شورى بينهم) أى لا يبرمون أمراً حتّى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم، فى مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: (وشاورهم فى الأمر) ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يشاورهم فى الحروب ونحوها ليطيّب بذلك قلوبهم. وهكذا لمّا حضرت عمر بن الخطاب الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى [۳۵] .فانظر إلى هذا التحوّل الكبير فى المدى الذى حدث قبل وفاة عمر، ولم يكن له قبلها أثر! أمّا كيف حدث هذا التحوّل الكبير؟ وتحت أىّ دافع؟فهذا سؤال هام أجاب عنه عمر بن الخطاب بنفسه فى ذات الوقت الذى جعل فيه الخلافة شورى، ذلك فى خطبته الشهيرة التى ذكر فيها السقيفة وأخبارها، ثم قال: (لا يغترنّ أمرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمّت، ألا إنّها قد كانت كذلك، ولكن وقى الله شرّها! فمن بايع رجلاً ـ من غير مشورة من المسلمين فلا ـ يبايع هو ولا الذى بايعه، تغرّةً أن يُقتلا) [۳۶] . [صفحه ۳۳] أمّا سبب هذه الخطبة التى أفرزت (الشورى) مبدءاً فى اختيار الخليفة لأوّل مرّة، فيحدّثنا عنه القسطلانى وهو يفكّ ألغازها..فبعد أن يأتى باسنادها الذى أورده البخارى عن ابن عباس، وفيه أنّ عبدالرحمن بن عوف جاء إلى ابن عباس فى موسم الحجّ وكان يتعلّم عنده القرآن، فقال له: لو سمعت ما قاله أمير المؤمنين ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ إذ بلغه أنّ" فلاناً "قال: لو قد مات عمر لبايعت" فلاناً "فما كانت بيعة أبى بكر إلّا فلتة، فهمّ عمر أن يخطب الناس ردّاً على هذا القول، فنهيته لاجتماع الناس كلّهم فى الحج وقلت له إذا عدت المدينة فقل هناك ما تريد، فإنّه أبعد عن اثارة الشغب.. فلمّا رجعوا من الحجّ إلى المدينة قام عمر فى خطبته المذكورة..فمن هو" فلان "القائل؟ ومن هو" فلان "الآخر؟حين تردّد بعض الشارحين فى الكشف عن هذين الاسمين، استطاع ابن حجر العسقلانى أن يتوصل إلى ذلك بالإسناد الصحيح المعتمد عنده، والذى ألغى به كل ماقيل من أقوال أثبت ضعفها ووهنها، فقال: وجدته فى الأنساب للبلاذرى بإسناد قوىّ، من رواية هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهرى، بالاسناد المذكور فى الاصل، ولفظه: (قال عمر: بلغنى أنّ الزبير قال: لو قد مات عمر لبايعنا عليّاً..) الحديث [۳۷] .فذلك إذن هو السرّ فى ثورة عمر! [صفحه ۳۴] وذلك هو السرّ فى ولادة مبدأ الشورى فى الخلافة!الشورى التى سنتحدّث عن تفاصيلها وأحكامها وما قيل فيها، باستيعاب يتناسب مع حجم هذا الكتاب. [صفحه ۳۵]

الشورى فى اطارها النظرى

إنّ الأساس الذى قامت عليه نظرية الشورى هو أنّ أمر الخلافة متروك إلى الأُمّة.. ومن هنا ابتدأت الأسئلة تنهال على هذه النظرية؛ عند البحث عن الدليل الشرعى فى تفويض هذا الامر إلى الأُمّة.. وعند محاولة إثبات شرعية الاسلوب الذى سوف تسلكه الأُمّة فى الاختيار..لقد رأوا فى قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [۳۸] أفضل دليل شرعى يدعم هذه النظرية، ومن هنا قالوا: إنّ أوّل وجوه انتخاب الخليفة هو الشورى.لكن ستأتى الصدمة لأوّل وهلة حين نرى أنّ مبدأ الشورى هذا لم يطرق أذهان الصحابة آنذاك.فانتخاب أوّل الخلفاء كان بمعزل عن هذا المبدأ تماماً، فإنّما كان" فلتةً "كما وصفه عمر، وهو الذى ابتدأه وقاد الناس إليه!ثمّ كان انتخاب ثانى الخلفاء بمعزلٍ أيضاً عن هذا المبدأ!نعم، ظهر هذا المبدأ لأوّل مرّة على لسان عمر فى خطبته الشهيرة التى ذكر فيها السقيفة وبيعة أبى بكر فحذّر من العودة إلى مثلها، فقال: (فمن بايع رجلاً من غير مشورةٍ من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه، تغرَّة [صفحه ۳۶] أن

يُقتلا) [٣٩] ذلك القول الذى عرفنا قبل قليل أنّه ما قاله إلّا ليقطع الطريق على الإمام علىّ عليه السلام ومن ينوى أن يبايع له!لكنّه حين أدركته الوفاة أصبح يبحث عن رجل يرتضيه فيعهد إليه بالخلافة بنصّ قاطع بعيداً عن الشورى!فقال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لولّيته [٤٠] .ثمّ قال: لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيّاً لولّيته [٤١] .ثمّ قال: لو كان معاذ بن جبل حيّاً لولّيته [٤٢] .إذن لم يكن عمر يرى أنّ الاَصل فى هذا الاَمر هو الشورى، وإن كان قد قال بالشورى فى خطبته الاَخيرة إلّا أنّه لم يعمل بها إلّا اضطراراً حين لم يجد من يعهد إليه!لقد أوضح عن عقيدته التامّة فى هذا الاَمر حين قال قُبيل نهاية المطاف: (لو كان سالمٌ حيّاً ماجعلتها شورى) [٤٣] .ثمّ كانت الشورى..وأىّ شورى!!إنّها شورى محاطة بشرائط عجيبة لا مجال للمناقشة فيها! وجملتها: [صفحه ٣٧] ١ ـ إنّها شورى بين ستّة نفر، وحسب، يعيّنهم الخليفة وحده دون الاُمّة!٢ ـ أن يكون الخليفة المنتخب واحداً من هؤلاء الستّة، لا من غيرهم!٣ ـ إذا اتّفق أكثر الستّة على رجل وعارض الباقون، ضُربت أعناقهم!٤ ـ إذا اتّفق اثنان على رجل، واثنان على آخر، رجّحت الكفّة التى فيها عبد الرحمن بن عوف ـ أحد الستّة ـ وإنْ لم يُسَلّم الباقون ضُربت أعناقهم!٥ ـ ألّا تزيد مدّة التشاور على ثلاثة أيّام، وإلّا ضُربت أعناق الستّة أهل الشورى بأجمعهم!!٦ ـ يتولّى صهيب الرومى مراقبة ذلك فى خمسين رجلًا من حَمَلَة السيوف، على رأسهم أبو طلحة الاَنصارى [٤٤] .فالحقّ أنّ هذا النظام لم يترك الاَمر إلى الاُمّة لتنظر وتعمل بمبدأ الشورى، بل هو نظام حدّده الخليفة، ومنحه سمة الاَمر النافذ الذى لامحيد عنه، ولاتغيير فيه، ولايمكن لصورة كهذه أن تُسمّى شورى بين المسلمين، ولابين أهل الحلّ والعقد.لقد كانت تلك الظروف إذن كفيلة بتعطيل أوّل شورى فى تاريخ الإسلام عن محتواها، فطعنت إذن فى تلك القاعدة الاَساسيّة المفترضة (قاعدة الشورى). [صفحه ٣٨] والحقّ أنّ هذه القاعدة لم يكن لها عين ولا ـ أثر من قبل.. فلم يكن أبو بكر مؤمناً بمبدأ الشورى قاعدةً للنظام السياسى وأصلًا فى انتخاب الخليفة، ولا مارس ذلك بنفسه، بل غلّق دونها الاَبواب حين سلب الاُمّة حقّ الاختيار وممارسة الشورى إذ نصّ على عمر خليفةً له، ولم يُصغ إلى ماسمعه من اعتراضات بعض كبار الصحابة على هذا الاختيار.علماً أنّ اعتراض هؤلاء الصحابة المعترضين حينذاك لم يكن على طريقة اختيار الخليفة التى مارسها أبو بكر، ولا ـ قالوا: إنّ الاَمر ينبغى أن يكون شورى بين الاُمّة، ولا احتجّ أحدهم بقوله تعالى: (وأمرُهم شورى بينهم)، وإنّما كان اعتراضهم على اختياره عمر بالذات، فقالوا له: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت مايلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا ـ بهم؟! وأنت لاقٍ ربّك فسائلك عن رعيّتك [٤٥] .بل كان عمر صريحاً كلّ الصراحة فى تقديم النصّ على الشورى، ذلك حين قال: (لو كان سالمٌ حيّاً لَما جعلتها شورى) [٤٦] .إنّ عهداً كهذا ليلغى رأى الاُمّة بالكامل، وحتّى الجماعة التى يُطلق عليها (أهل الحلّ والعقد)!قالوا: إذا عهد الخليفة إلى آخر بالخلافة بعده، فهل يُشترط فى ذلك رضى الاُمّة؟فأجابوا: إنّ بيعته منعقدة، وإنَّ رضى الاُمّة بها غير معتبر، ودليل [صفحه ٣٩] ذلك: أنّ بيعة الصدّيق لعمر لم تتوقّف على رضى بقيّة الصحابة [٤٧] .لم يكن إذن لقاعدة الشورى أثر فى تعيين الخليفة!!لعلّ هذه الملاحظات هى التى دفعت ابن حزم إلى تأخير مبدأ الشورى وتقديم النصّ والتعيين الصريح مِن قِبَل الخليفة السابق، فقال: (وجدنا عقد الإمامة يصحّ بوجوه، أوّلها وأصحّها وأفضلها: أن يعهد الإمام الميّت إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته) [٤٨] .

الشورى أم السيف؟

لقد أدركنا جيّداً هبوط مبدأ الشورى فى الواقع عن المرتبة التى احتلّها فى النظريّة، فتنازلنا عنه تنازلاً صريحاً ـ بعد إقراره ـ حين ذهبنا إلى تصحيح واعتماد كلّ ماحدث على السّاحة رغم منافاته الصريحة لمبدأ الشورى.ولم نكتف بهذا، بل ذهبنا إلى تبرير تلك الوجوه المتناقضة بلا استثناء، وبدون الرجوع إلى أىّ دليل من الشرع، ودليلنا الوحيد كان دائماً: (فعل الصحابة) رغم أنّنا نعلم علم اليقين أنّ الصحابة لم يجتمعوا على رأى واحد من تلك الآراء والوجوه.كما أنّنا نعلم علم اليقين أيضاً أنّ خلاف المخالفين منهم وإنكار المنكرين كان ينهار أمام الحكم الغالب.ورغم ذلك فقد عمدنا إلى القرار الغالب والنافذ فى الواقع، فمنحناه [صفحه ٤٠] صبغة الإجماع، بحجّة أنّه لم يكن لينفذ فى عهدهم إلّا بإجماعهم عليه، أو إقرارهم إيّاه.وبهذا تنكّرنا لحقيقة أنّ القرار النافذ كان يبتلع كلَّ

ماصادفه من أصوات المخالفين والمنكرين، ولا يلقى لها بالاً، وهذا هو الغالب على كلّ مايتّصل بالخلافة والمواقف السياسية الكبرى.فماذا أغنى اعتراض بنى هاشم ومَن معهم مِن المهاجرين والاَنصار على نتائج السقيفة؟!وما أغنى إنكار الصحابة على أبى بكر يوم استخلف عمر؟!وما أغنى إنكار الصحابة سياسة عثمان فى قضايا كثيرة كتقديمه بنى أُميّة على خيار الصحابة مع ماكان عليه أُولئك من حرص على الدنيا وبُعدٍ عن الدِين؟!ثمّ لم يشتدّ هذا الاِنكار ويعلو صداه حتّى تغلّب على شؤون الاَُمّة والخليفة غلمانُ بنى أُميّة ممّن اتفق الكل على أنّه لم يكن معهم من الدين والورع لا ـ كثير ولا قليل، كمروان بن الحكم وعبد الله بن سعد بن أبى سرح والوليد بن عقبة، ومعاوية.ومع هذا فلم يكن إنكارهم عندنا حجّة، بل كانوا به ملومين!فمتى إذن كان إنكار الصحابة حجّة، ليكون سكوتهم إقراراً؟!فإذا كانت الخطوة الاَُولى فى التراجع عن مبدأ الشورى هى القبول بتسليم الاَمر إلى الخليفة القائم ليستخلف بعده من يشاء، فإنّ الخطوة الثانية كانت خطوة مُرّةً حقّاً. [صفحه ۴۱] فلمّا تجنّب الخلفاء مبدأ الشورى ومبدأ النصّ والاستخلاف معاً، واختاروا مبدأ القهر والاستيلاء والتغلّب بالسيف، قبلنا به واحداً من طرق الخلافة!فكم بين الشورى، والتغلّب بالسيف؟!إنّ إقرار مبدأ التغلّب بالسيف لَيُعدّ أكبر انتكاسة لمبدأ الشورى!وإذا كانت الشورى مستمدّة من القرآن، فمن أين استمدّت قاعدة التغلّب بالسيف؟!وثَمَّ سؤال أشدّ إحراجاً من هذا:فإذا كانت الشورى هى القاعدة الشرعية المستمدّة من القرآن، فماذا عن عهود الخلافة التى لم تتمّ وفق هذه القاعدة؟!وحين لم يتوفّر الجواب الذى ينقذ هذه النظرية من هذا المأزق الكبير، رأينا أنّ المهرب الوحيد هو أن نبرِّر جميع صور الخلافة التى تحقّقت فى الواقع: فمرّةً بعقد رجل واحد ومتابعة أربعة، ومرّة بنصّ من الخليفة السابق، ومرّة فى ستّة يجتمعون لانتخاب أحدهم، ومرّة بالقهر والاستيلاء، حتّى أدّى هذا المبدأ الاَخير إلى أن تصبح الخلافة وراثة بحتة لا أثر للدِين فيها.

مصير شروط الامامة

إنّ هذه الطريقة فى تبرير الاَمر الواقع لم تسقط الشورى وحدها، بل أسقطت معها أهمّ شروط الاِمامة الواجبة لصحّة عقدها، والتى منها: [صفحه ۴۲] ۱ ـ العدالة: إذ قالوا أوّلاً ـ فى بناء نظرية الخلافة: لاتنعقد إمامة الفاسق؛ لاَنّ المراد من الاِمام مراعاة النظر للمسلمين، والفاسق لم ينظر لنفسه فى أمر دينه، فكيف ينظر فى مصلحة غيره [۴۹] .وقالوا: إنّ هذا الفسق يمنع من انعقاد الاِمامة، ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج منها [۵۰] .۲ ـ الاجتهاد: إذ عدّوا فى شروط الاِمام: أن يكون من أفضلهم فى العلم والدين، والمراد بالعلم هو العلم المؤدّى إلى الاجتهاد فى النوازل والاَحكام، فلاتنعقد إمامة غير العالم بذلك، لاَنّه محتاج لاَنْ يصرّف الاَُمور على النهج القويم ويُجريها على السراط المستقيم، ولاَنْ يعلم الحدود ويستوفى الحقوق ويفصل الخصومات بين الناس، وإذا لم يكن عالماً مجتهداً لم يقدر على ذلك [۵۱] .لكن سرعان ما انهار هذان الشرطان حين تغلّب على الخلافة رجال لم يكن فيهم شىء منها، لا العدالة، ولا العلم المؤدّى إلى الاجتهاد..قال الفرّاء: قد روى عن أحمد ألفاظ تقتضى إسقاط اعتبار العدالة والعلم والفضل، فقال: (ومن غلبهم بالسيف حتّى صار خليفةً وسمّى أمير المؤمنين، فلا يحلّ لاَحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه، برّاً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين) [۵۲] . [صفحه ۴۳] وقال القلقشندى: (إن لم يكن الخليفة المتغلّب بالقهر والاستيلاء جامعاً لشرائط الخلافة، بأن كان فاسقاً أو جاهلاً، فوجهان لاَصحابنا الشافعية، أصحّهما: انعقاد إمامته أيضاً) [۵۳] .

التبرير

إنّ مثل هذا الرأى الذى ينقض شرائط الخلافة بعد أن نقض أساسها، لابُدّ له من تبرير مقبول.والتبرير الذى قدّمته هذه النظرية هنا هو: (الاضطرار)!لاَنّا لو قلنا: لاتنعقد إمامته، لزم ذلك بطلان أحكامه كلّها المالية والمدنيّة، فيتعيّن على الخليفة الذى يأتى بعده وفق الشروط الشرعية أن يقيم الحدود ثانياً، ويستوفى الزكاة والجزية ثانياً، وهكذا [۵۴] .والضرورة أيضاً تقتضى صحّة خلافته: لحفظ نظام الشريعة، وتنفيذ أحكامها [۵۵] ، ولاَنّه لابُدّ للمسلمين من حاكم [۵۶] .إذن قبولها على هذه الصورة يستدعى السعى الدائم لاِزاحتها

وإرجاع الاَمر إلى صيغته الشرعية متى ما وجدت الاَمّة سبيلاً إلى ذلك.هذا ماذهب إليه الشيخ محمّد رشيد رضا وقد استعرض هذه الآراء، فقال: (معنى هذا أنّ سلطة التغلّب كأكل الميتة ولحم الخنزير عند [صفحه ۴۴] الضرورة، تنفذ بالقهر، وتكون أدنى من الفوضى!ومقتضاه أنّه يجب السعى دائماً لإزالتها عند الإمكان، ولا يجوز أن توطّن الاَنفس على دوامها، ولا أن تجعل كالكرة بين المتغلّبين يتقاذفونها، ويتلقّفونها كما فعلت الاُمم التى كانت مظلومة وراضية بالظلم) [۵۷] .لكنَّ الواقع كان على العكس من ذلك، فقد حرّموا دائماً الخروج على السلطان الجائر والفاسق، وعدّوا أيّ محاولة من هذا القبيل من الفتن التى نهى عنها الدين وحرّم الدخول فيها..يقول الزرقانى: (أمّا أهل السُنّة فقالوا: الاختيار أن يكون الامام فاضلاً عادلاً محسناً. فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائر أوْلى من الخروج عليه، لِما فيه من استبدال الخوف بالاَمن، وإهراق الدماء، وشنّ الغارات، والفساد، وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه) [۵۸] .كما ثبت عن أحمد بن حنبل أنّه قال: (الصبر تحت لواء السلطان على ماكان منه من عدلٍ أو جور، ولا يُخرَج على الاُمراء بالسيف وإنْ جاروا) [۵۹] .استعرض الشيخ أبو زهرة هذين القولين، ثمّ قال: (وهذا هو المنقول عن أئمّة أهل السُنّة؛ مالك، والشافعى، وأحمد) [۶۰] . [صفحه ۴۵] فهل ينسجم هذا الاعتقاد مع أحكام الاضطرار والإكراه؟!لقد طعن الشيخ محمّد رشيد رضا هذه العقيدة فى الصميم حين قال:«وقد عُنى الملوك المستبدّون بجذب العلماء إليهم بسلاسل الذهب والفضّة والرُتَب والمناصب، وكان غيرهم أشدّ انجذاباً، ووضع هؤلاء العلماء الرسميّون قاعدة لاُمرائهم ولاَنفسهم هدموا بها القواعد التى قام بها أمرُ الدِين والدنيا فى الإسلام، وهى: أنّه يجوز أن يكون أولياء الاُمور فاقدين للشروط الشرعية التى دلّ على وجوبها واشتراطها الكتاب والسُنّة، وإنْ صرّح بها أئمّة الاُصول والفقه، فقالوا: يجوز، إذا فُقِدَ الحائزون لتلك الشروط.مثال ذلك: إنّه يشترط فيهم العلم المعبَّر عنه بالاجتهاد، وقد صرّح هؤلاء بجواز تقليد الجاهل، وعدّوه من الضرورة، وأطلق الكثيرون هذا القول، وجرى عليه العمل. وذلك من توسيد الاَمر إلى غير أهله الذى يقرّب خطوات ساعة هلاك الاُمة، ومن علاماتها: ذهاب الاَمانة، وظهور الخيانة.. ولا خيانة أشدّ من توسيد الاَمر إلى الجاهلين..روى مسلم وأبو داوود حديث ابن عبّاس: (من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أوْلى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسُنّة نبيّه، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين) [۶۱] .وطعنها أيضاً فى قوله: (ما أفسد على هذه الاُمّة أمرها وأضاع عليها ملكها إلاّ جعل طاعة هؤلاء الجبّارين الباغين واجبة شرعاً على الإطلاق، [صفحه ۴۶] وجعل التغلّب أمراً شرعيّاً كمبايعة أهل الحلّ والعقد للإمام الحقّ، وجعل عهد كلّ متغلّب باغٍ إلى ولده أو غيره من عصبته حقّاً شرعياً وأصلاً مرعياً لذاته) [۶۲] .وهذه حقيقة تاريخية، وليست دعوى مجازفٍ أو متهاون.

صورتان

اشاره

صورتان نقف عندهما يسيراً بعد هذا الشوط المضنى، لنواصل بعدهما المشوار..

مذهب عظماء السلف؟!

لقد أسقط مذهب الكثير من عظماء السلف وأشرافهم فلا يُذكر لهم اسم، ولايُشرَك لهم قول فى هذه النظرية.فلا ذكر للسبط الشهيد الإمام الحسين بن علىّ (ع) وثورته [۶۳] .... ولا لمئات المهاجرين والاَنصار وبقيّة الصحابة فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهضتهم على يزيد بن معاوية [۶۴] . ولا عبد الله بن الزبير.. ولا الشهيد زيد بن علىّ بن [صفحه ۴۷] الحسين (ع).. ولا الصحابى سليمان بن صُرَد الخزاعى ومن معه أصحاب ثورة التوّابين.. ولا القُرّاء فى الكوفة وثورتهم!كما أُسقط أيضاً مذهب أبى حنيفة من بين أئمّة أهل السُنّة، وذلك لاَنّه ـ كما جاء فى غير واحدٍ من المصادر ـ كان يساند الثائرين على خلفاء الزور فساند زيد الشهيد ابن الإمام

زين العابدين عليه السـلام وساند ثورات أولاد الامام الحسن عليه السلام حتّى مات فى السجن وهو على موالاتهم، وكان يسمّى خلفاء بنى أميـة وبنى العبـاس (اللصوص) [۶۵] .!كـلّ أُولئك أُسـقطوا من هـذه النظريـة، فأُخرجوا عن دائرة أهل السُـنّة!!لقـد بالغ بعض كبار المتكلّمين باسم أهل السُـنّة فى النَيل من أُولئك العظماء الاَشـراف، ووجوه القوم وكبارهم، ولعلّ من أشـهرهم ابن تيميّـة الـذى ذهلته العصبية حتّى تمرّد على جميع الضوابط الدينية والقيم الخُلقية، فوصف نهضة سيّد شباب أهل الجنّة سبط الرسول وريحانته بأنّها فساد كبير! ولايرضـى بها الله ورسوله! وكـذا وصف نهضة بقيّة المهاجرين والاَنصار فى المدينة المنوّرة، ثمّ بالغ فى إعذار يزيد فى التصدّى لهم وقتلهم جميعاً لاَجل حفظ ملكه؛ ولم ينكر على يزيد إلاّ أنّه أباح المدينة ثلاثة أيام [۶۶] .وقال فى هذا الاَمر أيضاً: (ممّا يتعلّق بهذا الباب أن يُعلَم أنّ الرجل العظيم فى العلم والدِين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم [صفحه ۴۸] القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظنّ ونوع من الهوى الخفيّ، فيحصل بسبب ذلك ما لاينبغى اتّباعه فيه وإنْ كان من أولياء الله المتّقين، ومثل هذا إذا وقع صار فتنة) [۶۷] .تُرى لماذا كان ابن تيميّـة أعلم بمداخل الفتنة وأبعد عن الهوى الخفيّ من أُولئك العظماء من الصحابة وأهل البيت؟! هل لاَنّه رضـى إمامـةَ الفاجر والجاهل، ورفضَ ها أُولئك؟!هكـذا تُلقى هذه النظرية بنفسـها فى مأزقٍ حرج حين تُعرِض عن ذلك الاَثر الضخم من آثار عظماء السَلَف وأئمّتهم.

الخارج المأجور

مازال إظهار الخلاف للحاكم محرَّماً، والخروج عليه فتنةً وفساداً كبيراً، مازال هذا الحكم ثابتاً لا يتزحزح..إذن لماذا أصبح الخارج على الإِمام، مرّةً واحدة فقط فى تاريخ الإِمامة، مأجوراً؟!حين كان الإِمام هو عليٌّ بن أبى طالب، أخصّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكثرهم علماً وجهاداً وأوْلاهم بالعدل، عندئـذٍ فقط حقَّ للناس أن يخرجوا على الإِمام!وسوف لايكون خروجهم ـ هـذه المرّة ـ فتنـة وفسـاداً، بـل هو اجتهـاد، وهم مأجورون عليه، مثابون لاَجله وإن أخطأوا!! [صـفحه ۴۹] إنّهـا صور لو عرضتَ أيّاً منها على تلك النظرية لوجدت فتقاً لايُرتَق إلاّ بتكلّفٍ ظاهر، والتواءٍ سافر. [صفحه ۵۲]

النص

ضرورة النص بين الخليفة والنبى

لاـنزاع بينهم فى ثبوت حقّ الخليفـة فى النصّ على مَن يخلفه، ولاـفى نفوذ هـذا النصّ؛ لاَـنّ الإِمـام أحقّ بالخلافـة، فكـان اختيـاره فيها أمضـى، ولا يتوقّف ذلك على رضـى أهل الحلّ والعقـد [۶۸] .وإنّما صار ذلك للخليفـة خوفاً من وقوع الفتنـة واضـطراب الاُمّـة [۶۹] .فمن أجـل ذلك كان بعض الصـحابة يراجع عمر ويسأله أن ينصّ على من يخلفه [۷۰] .تُرى، لماذا لا يكون النبيّ صـلى الله عليه وآله وسـلم أوْلى بالتفكير فى ذلك، وبرعاية هذه المصـلحة؟!إنّه الرحمة المهداة، بلا شكّ.. أليس من تمام الرحمة وجمالها أن يُجنّب أُمّته المحـذور من الاختلاف بعـده؟!لقـد أحبّ أُمّته وحرص عليها (عزيزٌ عليه ماعنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [۷۱] .وأيضاً: فقد كان صـلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنّنا سوف لاننتظر بعده نبيّاً يُعيد نظمَ أمرنا! [صفحه ۵۴] لقد بصر ابن حزم بذلك، فحاول أن يتداركه، فقال: وجدنا عقد الإِمامة يصحّ بوجوه: أوّلها وأصحّها وأفضلها أن يعهد الإِمام الميّت إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته، سواء جعـل ذلـك فى صـحّته أو عنـد موته، كمـا فعـل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بـأبى بكر، وكمـا فعل أبو بكر بعمر، وكما فعل سليمـان بن عبـد الملـك بعمر بن عبـد العزيز.قـال: وهـذا هو الوجه الـذى نختـاره، ونكره غيره، لِما فى هـذا الوجه من اتّصال الإِمامـة، وانتظام أمر الإِسـلام وأهله، ورفع مايتخوّف من الاختلاف والشغب ممّا يُتوَقّع فى غيره من بقاء الاُمّة فوضى، ومن انتشار الاَمر وحدوث الاَطماع [۷۲] .لقـد لحظ ابن حزم أكثر من ثغرة فى تلك النظريـة (الشورى)، فأظهر مهارةً فى محاولة رتقها، بأنْ جمع بين الضـرورات

الدينية والعقلية والاجتماعية وبين الأمر الواقع، ليخرج بصيغة أكثر تماسكاً.فتَرْكُ الاَمّة دون تعيين وليّ الاَمر الذى يخلف زعيمها يعنى بقاء الاُمّة فوضى، وتشتّت أمرها، وظهور الاَطماع فى الخلافة لا محالة.. وهذا ممّا ينبغى أن يدركه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيبادر إلى تلافيه، ولو فى مرضه الذى توفّى فيه.وتعيين الخليفة بهذه الطريقة سيضمن اتّصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام.وإذا كان أبو بكر قد أدرك ذلك فنصَّ على مَن يخلفه، وأدركه أيضاً [صفحه ۵۵] عمر، وأدركه سليمان بن عبد الملك، فكيف نظنّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قد أغفل ذلك؟!إنّها إثارات جادّة دفعته إلى حلٍّ وحيد يمكنه أن ينقذ هذه النظرية، كما ينقذ الاَمر الواقع بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتمثّل هذا الحلّ عنده بنصّ النبيّ على أبى بكر بالخلافة!إذن فلا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك هذا الاَمر للاُمّة، أو تركها فوضى، ولا كانت بيعة أبى بكر فلتة!إنّها أُطروحة متينة، كفيلة بقطع النزاع، لو تمّت..!ولكنّها ـ للاَسف ـ لم تكن سوى مجازفة، فمن البديهى عندئذٍ أن تكون عاجزةً عن تحقيق الاَمل المنشود منها!فلا هى تداركت تلك النظرية وعالجت ثغراتها، ولا هى أنقذت الاَمر الواقع!وذلك لسبب بسيط، وهو أنّ النصّ على أبى بكر لم يثبت، بل لم يدّعِ وجوده أحد، بل تسالمت الاُمّة على عدمه.فمن أراد أن يثبت مثل هذا النصّ على أبى بكر بالخصوص، فعليه أن ينفى حادثة السقيفة جملةً وتفصيلاً.عليه أن يكذّب بكلّ ماثبت نقله فى الصحاح من كلام أبى بكر وعمر وعليٍّ والعبّاس والزبير فى الخلافة..عليه أن يهدم بعد ذلك كلّ ماقامت عليه نظرية أهل السُنّة فى الإمامة، فلم تُبْنَ هذه النظرية أوّلاً إلاّ على أصل واحد، وهو البيعة لاَبى بكر بتلك [صفحه ۵۶] الطريقة التى تمّت فى السقيفة وبعدها!!عليه أن ينفى ماصرّحوا به من (الإجماع على أنّ النصّ منتفٍ فى حقّ أبى بكر) [۷۳] .ولم يكن هذا الطرح منسجماً مع هذه المدرسة ومبادئها، وإنّما هو محاولة لسدّ ثغراتها، ومقابلة للإلحاح الذى تُقدّمه النظرية الاُخرى القائمة على أساس النصّ، ولقطع دابر النزاع، كما ذكر ابن حزم.إنّه كان مقتنعاً بضرورة النصّ، ولكنّه أراد نصّاً منسجماً مع الاَمر الواقع، وإنْ لم يسعفه الدليل!!

اقرار بقدر من النص

لم يختف النصّ إلى الاَبد فى هذه النظرية، والشورى هنا ليست مطلقة العنان، فليس لاَهل الحلّ والعقد أن ينتخبوا من شاءوا بلا قيد.إنّ هناك حدّاً تلتزمه الشورى، وهذا الحدّ إنّما رسمه النصّ الثابت.قالوا: إنّ من شرط الإمامة: النَسَب القرشى، فلا تنعقد الإمامة بدونه.. وعلّلوا ذلك بالنصّ الثابت فيه، فقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الاَئمّة من قريش».وقال: «قدّموا قريشاً ولا تتقدّموها». وليس مع هذا النصّ المسلَّم شبهةٌ لمنازع، ولا قول لمخالف [۷۴] . [صفحه ۵۷] واشترطوا لهذا القرشى أن يكون قرشيّاً من الصميم، من بنى النضر بن كنانة، تصديقاً للنصّ [۷۵] .وقال أحمد: (لا يكون من غير قريش خليفة) [۷۶] .واستدلّوا على تواتر هذا النصّ بتراجع الاَنصار وتسليمهم الخلافة للمهاجرين القرشيّين حين احتجّوا عليهم بهذا النصّ فى السقيفة [۷۷] .وقال ابن خلدون: (بقى الجمهور على القول باشتراطها ـ أى القرشية ـ وصحّة الخلافة للقرشيّ ولو كان عاجزاً عن القيام بأُمور المسلمين) [۷۸] .وهكذا ثبت النصّ الشرعى، وثبت تواتره، وثبت الإجماع عليه.وحين تراجع بعضهم عن الالتزام بهذا النصّ ـ كأبى بكر الباقلاّنى ـ فسّر ابن خلدون سرّ تراجعه، وردّ عليه، فقال: لمّا ضعف أمر قريش، وتلاشت عصبيّتهم بما نالهم من الترف والنعيم، وبما أنفقتهم الدولة فى سائر أقطار الاَرض، عجزوا بذلك عن أمر الخلافة وتغلّبت عليهم الاَعاجم، فاشتبه ذلك على كثير من المحقّقين حتّى ذهبوا إلى نفى اشتراط القرشية، وعوّلوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإنْ ولىَ عليكم عبدٌ حبشى» [۷۹] . [صفحه ۵۸] قال: وهذا لا يقوم به حجّة فى ذلك، لاَنّه خرج مخرج التمثيل، للمبالغة فى إيجاب السمع والطاعة [۸۰] .وثبت النصّ واستقرّ، ولا غرابة، فهو نصّ صحيح، بل متواتر.وهو فوق ذاك ينطوى على فائدة أُخرى، فهو النصّ الذى يعزّز أركان هذه النظرية، إذ يضفى الشرعية على الخلافة فى كافة عهودها، ابتداءً من أوّل عهود الخلافة! وانتهاءً بآخر خلفاء بنى العبّاس، فهذا كلّ مايتّسع له لفظ القرشيّة هنا.لمّا تغلب معاوية بالسيف بلغه أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص يُحدِّث أنّه سيكون ملك من قحطان، فهبّ معاوية غضباً

فجمع النـاس وخطبهم قائلًا: أمّا بعـد، فإنّه بلغنى أنّ رجالاً منكم يحـدّثون أحاديث ليست فى كتاب الله ولاتؤثر عن رسول الله، أولئك جهّالكم! فإيّاكم والاَمانىّ التى تضلّ أهلها، فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ هذا الاَمر فى قريش، لايعاديهم أحد إلاّ كبّه الله فى النار على وجهه» [۸۱] .

وقفة مع هذا النص

عرف المهاجرون القرشيّون الثلاثـة ـ أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ـ هذا النصّ فاحتجّوا به على الاَنصار فى السقيفة، فأذعن الاَنصار، وعاد القرشيّون بالخلافة، أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ مالت عن أبى عبيدة، لا لعدم كفاءته وهو القرشىّ المهاجر، بل لاَنّه قد توفّى فى خلافة عمر، فلمّا حضـرت عمر الوفاة تأسّف عليه، وقال: (لو كان أبو عبيـدة حيّاً [صـفحه ۵۹] لولّيتهُ) [۸۲] . والاَـمر ماضٍ مع النصّ.ولكن حين لم يكن أبو عبيدة حيّاً كاد ذلك المبدأ ـ النصّ ـ أن ينهار، وكاد ذلك النصّ المتواتر أن يُنسـى، كلّ ذلك على يد الرجل الذى كان من أوّل المحتجّين به على الاَنصار، عمر بن الخطاب! إنّه لمّا لم يجـد أبا عبيـدة حيّاً، قال: (لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيّاً لولّيتُه) [۸۳] .ولمّـا لم يكن سـالم حيّاً، قال: (لو كان معاذ بن جبل حيّاً لولّيتُه) [۸۴] .فهل كان سالم قرشـياً؟! أم كان معاذ كذلك؟!أمّا سالم: فأصله من إصْطَخْر، من بلاد فارس، وكان مولىً لاَبى حذيفة [۸۵] .وأمّا مُعاذ: فهو رجل من الاَنصار الّـذين أغار عليهم القرشـيّون الثلاثة فى السـقيفة، وفيهم عمر، واحتجّوا عليهم بـأنّ الاَئمّـة من قريش، وهيهـات أن ترضـى العرب بغير قريش! هـذا الكلاـم قـاله عمر فى خطابه للاَنصار فى السـقيفة، ثمّ واصل خطابه قائلًا: (ولنا بـذلك الحجّـة الظاهرة، مَن نازعنا سـلطانَ محمّـد ونحن أولياؤه وعشيرتُه، إلاّ مُـدْلٍ بباطلٍ، أو متجانفٍ لاِثم، أو متورّط فى هَلَكـة) [۸۶] .إنّ تعدّد هذه المواقف المختلفة أضـفى كثيراً من الغموض على عقيدة [صـفحه ۶۰] عمر فى الخلافة، ممّا يزيد فى إرباك نظرية الخلافة والاِمامة إذا ماأرادت أن تُساير جميع المواقف، من هنا اضـطرّوا إلى الضـرب على اختلافات عمر حفاظاً على صورة أكثر تماسكاً لهذه النظرية، كلّ ذلك لاَجل تثبيت هذا المبدأ القائم على النصّ الشرعى: «الاَئمّة من قريش».واضـح إذن كيف تمّ الانتصار للنصّ على الرأى المخالف!وواضـح أيضاً كيف كان قـد تمّ الانتصار لمبدأ النصّ على مبدأ الشـورى، وذلـك حيـن رأى الخليفـة ضـرورة النصّ على مـن يخلفـه، هـذا بغض النظر عـن السـر الـذى ذكرنـاه فى طرح نظرية الشورى!فدخل النصّ إذن فى قمّة النظام السياسـى!إذن، ثبت لدينا نصّ صـريح صـحيح وفاعل فى هذه النظرية، وهو الحديث الشريف «الاَئمّة من قريش» وقد أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن والسير بألفاظ مختلفة.

ضرورة التخصيص فى النص

إنّ قراءةً سـريعة فى تاريخنا السياسى والاجتماعى توقفنا على حقيقة أنّ النصّ المتقدّم «الاَئمّة من قريش» بمفرده لايحقق للاِمامة الاَمل المنشود منهـا فى حراسـة الـدين والمجتمع.وأوّل من لمس هـذه الحقيقـة هم الصـحابة أنفسـهم منـذ انتهـاء عصـر الخلفـاء الاَربعـة، ثمّ أصبحت الحقيقـة أكثر وضوحاً لـدى من أدرك ثانى ملوك بنى أُميّـة ـ يزيـد بن معاويـة ـ ومَن بعـده.ففى صـحيح البخارى: لمّا كان النزاع دائراً بيـن مروان بـن الحكـم وهـو [صـفحه ۶۱] بالشـام، وعبـد الله بن الزبير وهـو بمكّـة، انطلق جماعـة إلى الصـحابى أبى برزة الاَسـلمى رضـى الله عنه فقـالوا له: ياأبـا برزة، ألاـ ترى مـاوقع فيه الناس؟! فقال: إنّى أحتسب عنـد الله أنّى أصـبحتُ ساخطاً على أحياء قريش، إنّ ذاك الـذى بالشام والله إنْ يقاتل إلاّ على الـدنيا، وإنّ الـذى بمكّة والله إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا [۸۷] .۲ ـ وأهمّ من هذا أنّه ثمّـة نصوص صـحيحة توجب تضـييق دائرة النصّ المتقـدّم..لقـد حـذّر النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم من الاـغترار بـالنسب القرشـى وحسب، وأنذر بأنّ ذلك سـيؤدّى إلى هلاك الاُمّة وتشتّت أمرها!ففى صـحيح البخارى عنه صـلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «هَلَكَةُ أُمّتى على يَـدَى غلمـةٍ من قريش» [۸۸] .كيف إذن سـيتمّ التوفيق بين النصّـين: «الاَئمّـة من قريش» و «هَلَكـةُ أُمّتى على يـدى غلمـة من قريش»؟!أليس لقائـل أن يقول: مـاهو ذنب الاُمّـة؟! إنّها التزمت نصّ النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم [صـفحه ۶۲] «الاَئمّة من قريش»

فقادها هـذا النصّ إلى هذا المصـير حين ذُبح خيار الاَمّة بسـيوف قريش أنفسـهم!أليس النصّ هو المسؤول؟!حاشا لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم أن يضع أُمّته على حافـة هاويـة، وهو الذى كان قد اسـتنقذها من الهاوية.إنّهم أرادوا أن يحفظوا الرسول بحفظ جميع الصـحابة وإضـفاء الشـرعية حتّى على المواقف المتناقضـة تجاه القضـيّة الواحدة، فوقعوا فى مافرّوا منه!بل وقعوا فى ماهو أكبر منه حين صـار النصّ النبوىّ هو المسؤول عمّا آل إليه أمر الاَمّـة من فتن، ثمّ هَلَكـة!فهؤلاء الغلمـة إنّما يكون هلاك الاُمّـة على أيـديهم عنـدما يملكون أمر الاُمّـة، لكنّ الاُمّـة إنْ رضـيت بهم فإنّما كان اتّباعاً للنصّ الاَوّل «الاَئمّة من قريش» فهل يكون هذا إلاّ إغراء؟!حاشا لرسول الله أن يكون ذلك منه، وإنّما هو من علامات التهافت فى هذه النظرية التى أغضت عن كلّ ماورد فى السُـنّة ممّا يفيد تخصيص ماورد فى حقّ قريش.

نوعان من التخصيص

اشاره

ورد فى السُنّة نوعان من التخصيص فى أمر قريش؛ تخصيص سلب، وتخصيص إيجاب. [صفحه ۶۳]

تخصيص السلب

ثمّـة نصوص صـريحة تسـتثنى قومـاً من قريش، فتبعـدهم عن دائرة التكريم، ناهيـك عن التقـديم: قال ابن حجر الهيتمى: فى الحـديث المروىّ بسـندٍ حَسَن أنّه صـلى الله عليه وآله وسلم قال: «شرّ قبائل العرب: بنو أُميّة وبنو حنيفة وثقيف».قال: وفى الحديث الصحيح ـ قال الحـاكم: على شـرط الشـيخين ـ عن أبى برزة رضـى الله عنه أنّه قـال: (كـان أبغض الاَحيـاء ـ أو النـاس ـ إلى رسول الله بنو أُميّـة) [۸۹] .والذى ورد فى ذمّ آل الحَكَم ـ أبو مروان ـ خاصّة كثير ومشـهور.فهل يصحّ أن تُسـند الإمامة إلى شرّ قبائل العرب، وأبغض الناس إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم؟!ومن دقـائق النصّ الاَوّل إقرانه بنى أُميّـة ببنى حنيفـة، وبنو حنيفـة هم قوم مسـيلمة الكـذّاب!!فإذا أصبح هؤلاء هم الحكّام فى الواقع فعلينا أن نشهد أنّ هذا الواقع منحرف عن النصّ، بدلاً من أن نسعى لتبريره وإخضاعه للنصّ.

تخصيص الايجاب

الحديث الذى ميّز قريشاً بالاصطفاء على سائر القبائل لم يقف عند دائرة قريش الكبرى، بل خصّ منها طائفةً بعينها، فقال صلى الله عليه وآله وسـلم: «إنّ الله اصـطفى كنانة من وُلد إسـماعيل، واصـطفى قريشاً من كنانة، واصـطفى من قريش بنى هاشم، واصـطفانى من بنى هاشم» [۹۰] . [صفحه ۶۴] وهذا تقديم لبنى هاشم على سائر قريش..ساق ابن تيميّة هذا الحديث الصـحيح، وأضاف قائلًا: وفى السنن أنّه شـكا إليه العبّاسُ أنّ بعض قريش يحقّرونَهم! فقال صـلى الله عليه وآله وسـلم: «والذى نفسى بيده لايدخلون الجنّة حتّى يحبّوكم لله ولقرابتى» وإذا كـانوا أفضـل الخلائق، فلا ريب أنّ أعمـالهم أفضـل الاَعمـال.. ففاضـلهم أفضـل من كـلّ فاضل من سائر قبائل قريش والعرب، بل وبنى إسـرائيل وغيرهم [۹۱] .وليس المقـام مقـام تفضـيل وحسب، بل إنّ قريشاً لا يصـحّ لها إيمان مالم تحبّ بنى هاشـم حُبّين: لله، ولقرابة الرسول!فهل يصحّ أن تكون قريش كلّها سواء فى حقّ التقدّم والإمامة، وفيها بنو هاشم الّذين رفعهم النصّ إلى أعلى منزلـة، وفيها بنو أُميّـة الّذين خفضـهم النصّ إلى أردى الرتب؟!إذا كان الواقع قد آل إلى هذه الحال، فعلينا أن نشـهد أنّه واقع منحرف عن النصّ، لا أن نسعى إلى تبريره.

نتيجة البحث

ممّا تقـدّم يبـدو بكّل وضوح أنّنا هنا قـد أخفقنا فى تحقيق نظريـة منسـجمة متماسـكة فى موضوع الاِمامـة، وأنّ السـبب الحقيقى لهـذا الإخفـاق هو متابعـة الأَمر الواقع والسـعى لتبريره وجعله مصـدراً رئيساً فى وصف النظـام السياسـى.وتلـك الوجوه المتناقضـة كلّها من المسـتحيل أن تجتمع فى نظريـة [صـفحه ۶۵] واحـدة، فتكون نظريـة منسـجمة وذات تصوّر واضـح ومحـدّد ومفهوم.هذا كلّه، وبقدر مـايثيره من شـكوك حول صـلاحية هـذه النظريـة، فـإنّه يرجّح الرأى الآخر الـذى يـذهب إلى اعتماد النصّ الشـرعى فى تعيين خليفة الرسول.إلى هـذه النتيجـة أيضاً خلص الـدكتور أحمـد محمود صـبحى وهو يـدرس نظرية الاِمامة، إذ قال: (أمّا من الناحية الفكرية فلم يقدّم أهل السُـنّة نظرية متماسـكة فى السياسة تُحدّد مفاهيم البيعة والشورى وأهل الحلّ والعقد، فضلاً عن هوّة ساحقة تفصل بين النظر والتطبيق، أو بين ماهو شـرعى وبين ما يجرى فى الواقع.لقد ظهرت نظريات أهل السُـنّة فى السـياسة فى عصـر متأخّر بعد أن اسـتقرّ قيام الدولة الاِسـلامية على الغَلَبة.. كما جاء أكثرها لمجرّد الردّ على الشيعة.. والتمس بعضها استنباط حكم شرعى من أُسلوب تولّى الخلفاء الثلاثـة الاَوائل.وإنّ الهوّة الساحقـة بين تشـريع الفقهاء وبين واقع الخلفاء، فضـلاً عن تهافت كثير من هـذه الآراء وإخفاقها فى اسـتنباط قاعدة شرعية، هو ما مكّن للرأى المعارض ـ القول بالنصّ ـ ممثّلاً فى حزب الشيعة) [۹۲] .

الرجوع إلى النصوص المباشرة فى تعيين الخليفة

اشاره

لقد أحسّ الكثير من المتكلّمين وأصحاب الحديث إذن بالحاجة إلى النصّ فى تعيين أوّل الخلفاء على الاَقلّ، لتتّخذ الاَدوار اللاحقة له شرعيّتها من شـرعيّته.وليس غريباً أن تتعدّد أوجه الاستدلال بتعدّد المتكلّمين وتعدّد أساليبهم، وتعدّد النصوص التى يعتمدونها، وكثيراً مـا يتعلّق المتكلّمون بما يشـفع لمـذاهبهم وإنْ كانوا يلمحون فيه علامات الوضع!وسوف يـدور الحوار هنا فى اتّجاهين توزّعت عليهما النصوص المطروحة فى هذا الباب.. [صفحه ۶۹]

النصوص الدالة على خلافة أبى بكر

اشاره

لقـد عرض بعض المتكلّمين فى تثبيت خلافة أبى بكر نصوصاً من القرآن ونصوصاً من السُـنّة، نسـتعرض أهمّها بتركيز وإيجاز مبتدئين بنصوص السُنّة لكونها أكثر تصريحاً، ولاَنّ النصوص القرآنية اعتُمِدت فى تصحيح خلافته لا فى إثبات النصّ عليه.

نصوص من السنة

النصّ الاَوّل: قوله صـلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه الذى توفّى فيه: «مُروا أبا بكر فليصلّ بالناس».فرأى بعضهم فى هذا الحديث نصّاً على الخلافة وإن كان خفياً؛ لعدم الفصل بين إمامة الصـلاة والاِمامة العامّة.واسـتدلّوا لذلك بقول بعض الصـحابة لاَبى بكر: إرتضاك رسول الله لـديننا، أفلاـ نرضـاك لـدنيانا؟! وأهمّ شـىء فى هـذا القول الاَخير أن ينسب إلى علىّ بن أبى طالب [۹۳] .غير أنّ جملـةً من الاِثارات تحيط بهـذا النصّ وبهـذه الواقعـة، قد تبتلع كلّ ما يُبنى عليهما من اسـتنتاجات:الاِثارة الاَولى: إنّ القول بعدم الفصل بين إمامة الصـلاة والاِمامة العامة [صفحه ۷۰] قول غريب، وأغرب منه قول الجرجـانى: (لاـ قائـل بالفصل) [۹۴] .فابن حزم يقطع بأنّ هذا قياسـاً باطلاً، ويقول: (أمّا من أدّعى أنّه إنّما قُدِّم قياساً على تقـديمه إلى الصـلاة، فباطل بيقين؛ لاَنّه ليس كلّ من اسـتحقّ الاِمامـة فى الصـلاة يسـتحقّ الاِمامة فى الخلافة، إذ يسـتحقّ الاِمامة فى الصـلاة أقرأ القوم وإن كان أعجمياً أو عربياً، ولايسـتحقّ الخلافة إلاّ قرشـىّ، فكيف

والقياس كلّه باطل) [۹۵] .والشيخ أبو زهرة ينتقد هذا النوع من القياس ووجه الاستدلال به، فيقول: (اتّخذ بعض الناس من هذا ـ النصّ ـ إشارة إلى إمامة أبى بكر العامّة للمسلمين، وقال قائلهم: (لقد رضيه عليه السلام لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا) ولكنّه لزوم ماليس بلازم؛ لأنّ سياسة الدنيا غير شؤون العبادة، فلا تكون الإشارة واضحة.. وفوق ذلك فإنّه لم يحدث فى اجتماع السقيفة، الذى تنافس فيه المهاجرون والأنصار فى شأن القبيل الذى يكون منه الخليفة، أن احتجّ أحد المجتمعين بهذه الحجّة، ويظهر أنّهم لم يعقدوا تلازماً بين إمامة الصلاة وإمرة المسلمين [۹۶] .والذى يُستشفّ من كلامه استبعاد صحّة نسبة هذا الكلام إلى الإمام علىّ عليه السلام؛ فهذه النسبة لاتحتمل الصحّة، لِما ثبت فى الصحاح من أنّ علياً عليه السلام لم يبايع إلّا بعد ستّة أشهر [۹۷] ، كما أنّ الصحيح المشهور عن [صفحه ۷۱] علىّ عليه السلام خلاف ذلك، فجوابه كان حين بلغه احتجاج المهاجرين بأنّ قريشاً هم قوم النبىّ وأوْلى الناس به، قال عليه السلام: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» [۹۸] .الإثارة الثانية: إنّ إمامة الصلاة وفقاً لفقه هذه المدرسة لايترتّب عليها أىّ فائدة فى التفضيل والتّقديم، فالفقه هنا يُجيز مطلقاً إمامة المفضول على الفاضل، بل يُجيز إمامة الفاسق والجائر لأهل التقوى والصلاح، «صلّوا وراء كلّ برٍّ وفاجر»!الإثارة الثالثة: أخرج أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجة والنسائى: أنّ عبد الرحمن بن عوف قد صلّى إماماً بالمسلمين وكان فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۹۹] . وهذه الرواية أثبت ممّا ورد فى تقديم أبى بكر ـ كما سيأتى ـ فالحجّة فيها إذن لعبد الرحمن بن عوف أظهر، فتقديمه أوْلى وفقاً لذلك القياس [۱۰۰] .الإثارة الرابعة: فى صحيح البخارى: كان سالم مولى أبى حذيفة يؤمّ المهاجرين الأوّلين وأصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى مسجد قباء، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو سلمة، وعامر بن ربيعة [۱۰۱] .وكان عمرو بن العاص أميراً على جيش ذات السلاسل، وكان يؤمّهم [صفحه ۷۲] فى الصلاة حتّى صلّى بهم بعض صلواته وهو جنب، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة [۱۰۲] .فهل يُستدلّ من هذا أنّ سالماً وعمرو بن العاص أفضل من أبى بكر وعمر وأبى عبيدة، وأوْلى بالخلافة منهم؟!الإثارة الخامسة: نتابعها فى النقاط التالية:أ ـ ثبت فى جميع طرق هذا الحديث بروايته التامّة أنّه بعد أن افتتح أبو بكر الصلاة، خرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يتهادى بين رجلين ـ علىّ والفضل بن العبّاس ـ فصلّى بهم إماماً وتأخّر أبو بكر عن موضعه مؤتمّاً بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه.أثبت ذلك تحقيقاً أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب صنّفه لهذا الغرض، فقسّمه إلى ثلاثة أبواب: فجعل الباب الأوّل فى إثبات خروج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى تلك الصلاة وتأخيره أبا بكر عن إمامتها، وخصّص الباب الثانى فى بيان إجماع الفقهاء على ذلك، فذكر منهم: أبا حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، وأثبت فى الباب الثالث وَهَن الأخبار التى وردت بتقدّم أبى بكر فى تلك الصلاة، ووصف القائلين بها بالعناد واتّباع الهوى [۱۰۳] .وقال العسقلانى: تضافرت الروايات عن عائشة بالجزم بما يدلّ على أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان هو الإمام فى تلك الصلاة [۱۰۴] . [صفحه ۷۳] ومن هنا قال بعضهم: متى نظرنا إلى آخر الحديث احتجنا إلى أن نطلب للحديث مخرجاً من النقص والتقصير، وذلك أنّ آخره: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا وجد إفاقةً وأحسّ بقوّة خرج حتّى أتى المسجد وتقدّم فنحّى أبا بكر عن مقامه وقام فى موضعه. فلو كانت إمامة أبى بكر بأمره صلى الله عليه وآله وسلم لَتركه على إمامته وصلّى خلفه، كما صلّى خلف عبد الرحمن بن عوف [۱۰۵] .ب ـ ممّا يعزّز القول المتقدّم ماورد عن ابن عبّاس من أنّه قبل أن يؤذّن بلال لتلك الصلاة قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أُدعوا علياً». فقالت عائشة: لو دعوت أبا بكر! وقالت حفصة: لو دعوت عمر! وقالت أُمّ الفضل: لو دعوت العبّاس! فلمّا اجتمعوا رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه فلم ير علياً [۱۰۶] .ج ـ ويشهد لذلك كلّه ماثبت عن علىّ عليه السلام من أنّه كان يقول: «إنّ عائشة هى التى أمرت بلالاً أن يأمر أباها لِيُصَلّ بالناس؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليصلِّ بهم أحدهم ولم يعيّن»!! وكان علىٌّ عليه السلام يذكر هذا لأصحابه فى خلواته كثيراً، ويقول عليه السلام: «إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: إنّكنّ لَصُويحبات يوسف إلّا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها لأنّها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب» [۱۰۷] .فهذه صور منسجمة ومتماسكة لاتُبقى أثراً للاستفادة من هذا النصّ أو تلك الواقعة، ويمكن أن يضاف إليها ملاحظات أُخر ذات قيمة لايُستهان بها: [صفحه ۷۴] منها: الاختلاف الشديد والتعارض بين روايات هذه

الواقعة، وقد صرّح بهذا ابن حجر العسقلاني، ثمّ حاول التوفيق بينها بعد جهد [۱۰۸] .ومنها: ملاحظة بعض نقّاد الحديث أنّ هذا الحديث لم يصحّ إلّا من طريق عائشة، لذا لم تقم حجّته [۱۰۹] .ومنها: أنّ ابن عبّاس قد طعن هذا الحديث طعناً عبقريّاً لم يتنبّه له الرواة، إذ كانت عائشة تقول في روايتها لهذا الحديث: (خرج النبيّ يتهادى بين رجلين، أحدهما الفضل بن العبّاس) ولاتذكر الرجل الآخر، فلمّا عرض أحدهم حديثها على عبد الله بن عبّاس، قال له ابن عبّاس: فهل تدرى مَن الرجل الذي لم تُسَمِّ عائشة؟قال: لا.قال ابن عبّاس: هو عليّ بن أبي طالب، ولكن عائشة لاتطيبُ نفساً له بخير [۱۱۰] .الإثارة السادسة: أثبت جلُّ أصحاب التاريخ والسِيَر أنّ أبا بكر كان أيّام مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأخير هذا، مأموراً بالخروج في جيش أُسامة، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشدّد كثيراً بين الآونة والأُخرى على التعجيل في إنفاذ هذا الجيش.. فكيف ينسجم هذا مع الأمر بتقديمه في الصلاة؟! ناهيك عن قصد الإشارة إلى استخلافه! [صفحه ۷۵] لقد أدرك ابن تيميّة مابين الأمرين من منافاة وتعارض صريحين، فنفى نفياً قاطعاً كون أبي بكر ممّن سُمّي في بعثة أُسامة [۱۱۱] .لكنّ مثل هذا النفي لاينقذ الموقف، خصوصاً وأنّ ابن تيميّة لم يقدّم برهاناً ولا شبهةً في إثبات دعواه، فيما جاء ذِكر أبي بكر في مَن سُمّي في ذلك الجيش في مصادر عديدة وهامّة، أصحابها جميعاً من القائلين بصحّة تقدّم أبي بكر [۱۱۲] .أمّا نفي ذلك، أو تحرّج بعض المؤرّخين عن ذِكره، فإنّما مرجعه إلى الاختيار الشخصي في مساندة المذهب، لاغير، حين أدركوا بيقين أنّ شيئاً ممّا استدلّوا به على إمامته سوف لايتمّ لو كان أبو بكر في مَن سُمّي في جيش أُسامة، إذ هو مأمور بمغادرة المدينة المنوّرة أيّام وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تحت إمرة أُسامة بن زيد الشابّ ابن الثمان عشرة سنة [۱۱۳] .نصوص أُخر:لم يقف القائلون بالنصّ عند النصّ المتقدّم، بل رجعوا إلى مارأوا فيه نصّاً جليّاً على الخلافة، لكنّها في الحقيقة نصوص تثير على نفسها بنفسها شكوكاً كثيرة لاتُبقي احتمالاً لصحّتها، شكوكاً تثيرها الأسانيد والمتون معاً.. وأهمّ هذه النصوص: [صفحه ۷۶] ۱ ـ إنّ امرأةً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، أرأيتَ إنْ جئتُ فلم أجدك؟ ـ كأنّها تُريد الموت ـ فقال: «فإن لم تجديني فأتي أبا بكر» [۱۱۴] .وهذا الحديث متّحد عند الشيخين في سلسلة واحدة، وهي: إبراهيم ابن سعد، عن أبيه، عن محمّد بن جُبير بن مطعم، عن أبيه جُبير بن مطعم: أنّ امرأةً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...فلم يروه من الصحابة إلّا جُبير بن مطعم، ولم يروه عن جُبير إلّا ولده محمّد، ولم يروه عن محمّد غير سعد (وهو ابن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف) ولم يروه عن سعد غير ولده إبراهيم! ثمّ أخذه الرواة عن إبراهيم بن سعد!مناقشة الإسناد: نظرة واحدة في هذا الإسناد، بعيداً عن التقليد، تُحبط الآمال التي يمكن أن تُعقد عليه:فجبير بن مطعم: من الطلقاء، وهو صاحب أبي بكر، تعلّم منه الأنساب وأخبار قريش [۱۱۵] ، وكانت عائشة تُسمّى له وتُذكر له قبل أن يتزوّجها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم [۱۱۶] ، وذكره بعضهم في المؤلّفة قلوبهم. وكان شريفاً في قومه بني نوفل وهم حلفاء بني أُميّة في الجاهلية والإسلام. وهو أحد الخمسة الّذين اقترحهم عمرو بن العاص على أبي موسى الأشعري [صفحه ۷۷] للمشورة في التحكيم ـ وهم: جبير بن مطعم، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبو الجهم بن حذيفة، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة ـ وكلّهم مائل عن عليّ عليه السلام، فابن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث كانا في أصحاب الجَمل الّذين قاتلوا عليّاً في البصرة، وعبدالله بن عمرو مع أبيه عمرو بن العاص في أصحاب معاوية، وجبير وأبو الجهم من مسلمة الفتح هواهما مع بني أُميّة [۱۱۷] .محمّد بن جبير بن مطعم: وهو القائل لعبد الملك بن مروان وقد سأله: هل كنّا نحن وأنتم ـ يعني أُميّة ونوفل ـ في حلف الفضول [۱۱۸] ؟ فقال له محمّد بن جُبير بن مطعم: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يدنا ويدكم إلّا جميعاً في الجاهلية والإسلام [۱۱۹] .وقد اعتزل محمّد عليّاً والحسن عليهما السلام في حربهما مع معاوية، فلمّا تمّ الصلح كان محمّد ممثّلاً في وفد المدينة إلى معاوية للبيعة [۱۲۰] .وأمّا سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: فقد كان قاضياً لبعض ملوك بني أُميّة على المدينة [۱۲۱] .وأمّا ولده إبراهيم بن سعد: فهو صاحب العُود والغناء، كان يعزف [صفحه ۷۸] ويغنّي، جاءه أحد أصحاب الحديث ليأخذ عنه، فوجده يغنّي، فتركه وانصرف، فأقسم إبراهيم ألّا يحدّث بحديث إلّا غنّى قبله! وعمل والياً على بيت المال ببغداد لهارون الرشيد [۱۲۲] .هذا النصّ، الذي جاء بهذه السلسلة الوحيدة، هو الذي رأى فيه ابن حزم وغيره نصّاً

جليّاً على خلافة أبی بكر [۱۲۳] . غیر أنّ الجرجانی والتفتازانی لم یذكراه، فیما ذكرا نصوصاً كثیرة أضعف منه سنداً، وأقلّ منه دلالة [۱۲۴] .مناقشة المتن: وخطوة أُخرى إلى الاَمام فی التحقیق تضعنا أمام صورة أكثر وضوحاً حیث تُرینا كیف حلّ هذا الحدیث محلّ الحدیث الصحیح الوارد فی علیّ علیه السلام بعین هذا المتن!لمّا حضر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قالت صفیّة أُمّ المؤمنین: یا رسول الله، لكلّ امرأةٍ من نسائك أهل تلجأ إلیهم، وإنّك أجلیت أهلی، فإنْ حَدَثَ حَدَثٌ فإلى مَن؟قال صلی الله علیه وآله وسلم: «إلى علیّ بن أبی طالب». أخرجه أحمد والطبرانی ورجاله رجال الصحیح [۱۲۵] .إنّ الظروف السیاسیة الغالبة منذ وفاة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وحتى عصر [صفحه ۷۹] تدوین جوامع الحدیث، هی السبب الوحید فی ظهور الحدیث الاَول ودخوله فی كتب الشیخین وغیرهما دون الحدیث الثانی!۲ ـ قالت عائشة: قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی مرضه: «ادعی لی أبا بكر أباك، وأخاكِ، حتّى أكتب كتاباً، فإنّی أخاف أن یتمنّى متمنٍّ ویقول قائل: أنا أوْلى، ویأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر» [۱۲۶] .أسند مسلم هذا الحدیث كما یلی: عبیدالله بن سعید، عن یزید بن هارون، عن إبراهیم بن سعد، عن صالح بن كیسان، عن الزهری، عن عروة، عن عائشة.فقد ظهر إبراهیم بن سعد فی هذا الحدیث أیضاً، وهو صاحب الحدیث المتقدّم، صاحب العود والغناء، صاحب هارون الرشید.أمّا الزهری وعروة وعائشة فهم من أشدّ الناس میلاً وانحرافاً عن علیّ علیه السلام، وموقفهم من الخلافة ومن علیّ علیه السلام خاصّة وبنی هاشم عامّة معروف جدّاً!وأورده البخاری من طریق آخر ینتهی أیضاً إلى عائشة، فهی وحدها رأس هذا الحدیث فی جمیع طرقه!ولعلّ أقوى مایُثار هنا: أنّ هذه الاَحادیث قد رواها الشیخان، فكیف یمكن طعنها والشكّ فیها؟!وما أیسر الجواب لمن تجرّد للحقیقة دون سواها، الحقیقة التی كشف [صفحه ۸۰] عنها النقاب مؤرّخون وأئمّة لاشك فی وثاقتهم وصدقهم:ـ قال نفطویه فی تاریخه: (إنّ أكثر الاَحادیث الموضوعة فی فضائل الصحابة اختُلِقت فی أیّام بنی أُمیّة تقرّباً إلیهم فی مایظنّون أنّهم یُرغِمون به أُنوف بنی هاشم)!ـ وقال المدائنی فی كتابه فی الاَحداث: (فرُوِیَتْ أخبار كثیرة فی مناقب الصحابة مفتعلة، لا حقیقة لها.. حتّى انتقلت تلك الاَخبار والاَحادیث إلى الدیّانین الّذین لایستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم یظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة مارووها ولا تدیّنوا بها)!ـ وقال الإمام الباقر علیه السلام: «حتّى صار الرجل الذی یُذكر بالخیر، ولعلّه یكون ورعاً صدوقاً، یحدّث بأحادیث عظیمة عجیبة من تفضیل بعض مَن قد سلفَ من الولاة، ولم یخلق الله تعالى شیئاً منها، ولا كانت وقعت، وهو یحسب أنّها حقّ لكثرة من رواها ممّن لم یُعرف بالكذب ولابقلّة ورع» [۱۲۷] .فلیس بمستنكَرٍ إذن أن تنفذ هذه الاَخبار إلى الصحیحین وغیرهما.. فمن أین یأتی الاستنكار وهم مارووها إلاّ وهم یعتقدون صحّتها؟!وهذا الحدیث بالذات ممّا شهد المعتزلة بأنّ البكریة وضعته فی مقابل الحدیث المرویّ عنه صلی الله علیه وآله وسلم فی مرضه: «ائتونی بدواةٍ وبیاض أكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده أبداً» فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم: لقد غلبه [صفحه ۸۱] الوجع، حسبنا كتاب الله [۱۲۸] .وممّا یشهد لهذا القول، بل یجعله یقیناً لا شكّ فیه، ماثبت عن ابن عبّاس فی وصف اختلافهم عند النبیّ (ص) الذی حال دون كتابة ذلك الكتاب، فقد كان ابن عبّاس یصف هذا الحدیث بأنّه (الرزیّة، كلّ الرزیّة) ویذكره فیقول: (یوم الخمیس، وما یوم الخمیس! قالوا: وما یوم الخمیس؟! قال: اشتدّ برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجعه فقال: «ائتونی أكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعدی» فتنازعوا، ومایبنغی عند نبیٍّ تنازع! وقالوا: ماشأنهُ! أهَجَر؟ استفهموه!! فقال: «دعونی، فالذی أنا فیه خیر» قال ابن عباس: إن الرزیّة كلّ الرزیّة ماحال بین رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وبین أن یكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم). ویبكی حتّى یبلّ دمعُه الحصى [۱۲۹] .فلو كان الاَمر كما وصفه الحدیث المنسوب إلى عائشة «یأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر» لم تكن ثمّة رزیة یبكی لها ابن عبّاس كلّ هذا البكاء ویتوجّع كلّ هذا التوجّع.إنّ بكاء ابن عبّاس وتوجّعه الشدید لهذا الحدیث لهو دلیلٌ لاشیء أوضح منه على أنّ الذی أراده النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من ذلك الكتاب لم یتحقّق، بل تحقّق شیء آخر غیره لم یكن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أراده ولا أشار إلیه أدنى إشارة.وتزداد هذه الحقیقة رسوخاً حین ندرك أنّ ابن عبّاس هو واحد من [صفحه ۸۲] سادة بنی هاشم الّذین لم یبایعوا لاَبی بكر إلاّ بعد ستّة أشهر [۱۳۰] .فمع هذه الثوابت لایبقى احتمال لصحّة الحدیث المنسوب إلى عائشة!۳ ـ حدیث: «اقتدوا باللَّذَین مِن بعدی، أبی بكر

وعمر».أخرجه الترمذی وابن ماجة [۱۳۱] ، واعتمده كثيرون فی إثبات النصّ علی أبی بكر وعمر، أو فی إثبات صحّة خلافتهما [۱۳۲] .لكنّ ابن حزم استهجن كثيراً الاستدلالَ بهذه الرواية، وعدّه عيباً يترصّدُ أمثالَه الخصوم، فقال مانصّه: (ولو أنّنا نستجيز التدليس والاَمر الذی لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحاً، أو أبلسوا أسفاً، لاحتججنا بما روی «اقتدوا باللَّذين من بعدی أبی بكر وعمر» ولكنّه لايصحّ، ويُعيذنا الله من الاحتجاج بما لايصحّ) [۱۳۳] .۴ ـ نصوص أُخر نُسبت إلی علیّ عليه السلام، إمعاناً فی سدّ الثغرات، وقطع الطريق علی الخصم، استبعد المحبّ الطبری صحّة شیءٍ منها لتخلّف علیٍّ عن بيعة أبی بكر ستّة أشهر، ونسبته إلی نسيان الحديث فی مثل هذه المدّة أمر بعيد [۱۳۴] . [صفحه ۸۳] وهذا حقٌّ يؤيّده ما اشتهر عن علیّ عليه السلام من ذِكر حقّه فی الخلافة [۱۳۵] .هذه جملة مااعتمدوه من النصوص الحديثية فی النصّ علی أبی بكر وتقديمه.

نصوص من القرآن الكريم

قوله تعالی: (وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلِفنّهم فی الاَرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّنَنّ لهم دينهم الذی ارتضی لهم) [۱۳۶] .قالوا: الخطاب هنا للصحابة، فوجب أن يوجد فی جماعة منهم خلافة يتمكّن بها الدين، ولم يوجد علی هذه الصفة إلّا خلافة الخلفاء الاَربعة، فهی التی وعد الله بها [۱۳۷] . حتّی صرّح بعضهم بأنّ الآية نازلة فيهم، أو فی أبی بكر وعمر خاصّةً [۱۳۸] .وهذا الاستدلال ضعّفه المفسّرون بأمرين:الاَوّل: إنّ المراد فی هذه الآية هو (الوعد لجميع الاُمّة فی ملك الاَرض كلّها تحت كلمة الاِسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام: «زُويَتْ لی الاَرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أُمّتی مازُوِیَ لی منها»). وأنّ (الصحيح فی هذه الآية أنّها فی استخلاف الجمهور، [صفحه ۸۴] واستخلافهم هو أن يملّكهم البلاد ويجعلهم أهلها...ألا تری إلی إغزاء قريش المسلمين فی أُحد وغيرها، وخاصّةً الخندق، حتّی أخبر الله تعالی عن جميعهم فقال: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم وإذ زاغت الاَبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنّون بالله الظنونا – هنالك أبتلیَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً) [۱۳۹] .ثمّ إنّ الله ردّ الكافرين لم ينالوا خيراً، وأمّن المؤمنين وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وهو المراد بقوله: (لَيستخلِفنّهم فی الاَرض). وقوله: (كما استخلف الّذين من قبلهم) يعنی بنی إسرائيل، إذ أهلك الله الجبابرة بمصر، وأورثهم أرضهم وديارهم.. وهكذا كان الصحابة مستضعَفين خائفين، ثمّ إنّ الله تعالی أمّنهم ومكّنهم وملّكهم، فصحّ أنّ الآية عامّة لاُمّة محمّد صلی الله عليه وآله وسلم غير مخصوصة، إذ التخصيص لايكون إلّا بخبر ممّن يجب له التسليم، ومن الاَصل المعلوم التمسّک بالعموم) [۱۴۰] .والثانی: ماذكروه فی سبب نزول الآية، فإنّه منطبق تماماً علی ماذُكر آنفاً، لايُساعد علی تخصيصها فی الخلفاء الاَربعة أو بعضهم، وإنْ كان فيه مايفيد تخصيصها بالنبیّ صلی الله عليه وآله وسلم وأصحابه [۱۴۱] .ففی رواية البراء، قال: فينا نزلت ونحن فی خوف شديد. [صفحه ۸۵] وفی رواية أبی العالية، يصف حال أصحاب الرسول وهم خائفون، يُمسون فی السلاح ويُصبحون فی السلاح، فشكوا ذلک إلی النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم فأنزل الله الآية، فأظهر الله نبيّه علی جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح.ومثلها رواية أُبیّ بن كعب، وقوله فی رواية ثانية عنه: لمّا نزلت علی النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم (وَعَدَ اللهُ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية، بشّر هذه الاُمّة بالسَنا والرفعة والدين والنصر والتمكين فی الاَرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فی الآخرة من نصيب [۱۴۲] .أمّا رواية عبد بن حُميد عن عطيّة ففيها تخصيص آخر مخالف للتخصيص المذكور فی الخلفاء الاَربعة، إذ قال عطيّة: هم أهل بيتٍ هاهنا! وأشار بيده إلی القِبلة [۱۴۳] .وفی هذا عطف علی ماذهب إليه غالب مفسّری الشيعة من أنّ المراد بالّذين آمنوا وعملوا الصالحات هنا: النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم والاَئمّة من أهل بيته عليهم السلام. وأنّ هذه الآية تبشّر بالمهدی الموعود من أهل البيت ودولته [۱۴۴] .فمع هذا القول، أو مع ظهور ما تقدم من إفادتها العموم، لا يبقی وجه للتمسّک بها هنا.۲ ـ قوله تعالی (قُل للمخلَّفين من الاَعراب ستُدعون إلی قوم أُولی بأسٍ [صفحه ۸۶] شديد تقاتلونهم أو يُسلمون فإنْ تُطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) [۱۴۵] .فقد جعل الداعی مفترض الطاعة، والمراد به أبو بكر وعمر وعثمان، فوجبت طاعتهم بنصّ القرآن، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحّت إمامتهم وخلافتهم [۱۴۶] .والصحيح

الذى يوافق تاريخ نزول الآية الكريمة، ويوافق الوقائع، هو ماذكره الرازى من أنّ الداعى هو النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم [۱۴۷] ، إذ كانت الآية المذكورة نازلة فى الحديبية بلا خلاف، وهى فى سنة ستّ للهجرة، وبعدها غزا النبىّ هوازن وثقيف وهم أُولو بأس شديد، فى وقعة حنين الشهيرة وذلك بعد فتح مكّة فى السنة الثامنة للهجرة، وفتح مكّة هو الآخر دعوة إلى قتال قوم أُولى بأس شديد قاتَلوا الإسلام وأهله حتّى أظهره الله عليهم فى الفتح، ثمّ كانت غزوة مؤتة الشديدة، ثمّ غزوة تبوك وهى المعروفة بجيش العسرة، التى استهدفت محاربة الروم على مشارف الشام، ثمّ دعاهم مرّةً أُخرى لقتال الروم فى جيش أُسامة الذى جهّزه وأمر بإنفاذه وشدّد على ذلك فى مرضه الذى توفّى فيه.فكيف يقال إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يَدْعُهُم إلى قتال بعد نزول الآية؟!ولأجل الفرار من هذا المأزق ذهبوا إلى آية سورة التوبة النازلة فى المخلَّفين: (فإنْ رَّجَعَكَ اللهُ إلى طائفةٍ مِنهُم فَاستَأذَنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخرُجُوا مَعِىَ أبَداً وَلَن تُقاتِلوا مَعِىَ عَدُوّاً إنَّكُم رَضِيتُم بِالقُعُودِ أوَّلَ مَرَّةٍ فَاقعُدُوا [صفحه ۸۷] مَعَ الخَالِفِينَ) [۱۴۸] .قال ابن حزم بعد أن ذكر هذه الآية ما نصّه: (وكان نزول سورة براءة التى فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شكّ التى تخلّف فيها الثلاثة المعذورون الّذين تاب الله عليهم فى سورة براءة، ولم يغزُ عليه السلام بعد غزوة تبوك إلى أن مات. وقال تعالى أيضاً: (سيقول المخلّفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتّبعكم يريدون أن يبدّلوا كلام الله قُل لن تتّبعونا كذلكم قال الله من قبل) [۱۴۹] فبيّن أنّ العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تبوك) [۱۵۰] .وهذا أوّل التهافت! فالآية الثانية، آية سورة الفتح، نزلت فى الحديبية سنة ستّ للهجرة بلا خلاف، أى قبل تبوك بثلاث سنين! ويتّضح التهافت جليّاً حين يواصل القول مباشرةً: (ثمّ عطف سبحانه وتعالى عليهم إثر منعه إيّاهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى: (قُل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعونَ إلى قوم أُولى بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يُسلمون) فأخبر تعالى أنّهم سيدعوهم غير النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومٍ يقاتلونهم أو يُسلمون) [۱۵۱] .وهكذا قلب ترتيب الآيات، فقدّم آية التوبة النازلة بعد تبوك سنة تسع، وأخّر آية الفتح النازلة فى الحديبية سنة ستّ، ليتّفق له مايريد!! [صفحه ۸۸] وهذا هو الخطأ الأوّل، فكيف يكون مانزل سنة تسع من الهجرة مقدَّماً على مانزل سنة ستّ؟!وأمّا الخطأ الثانى فليس بأقلّ ظهوراً من الأوّل: فآية سورة الفتح النازلة فى الحديبية فى السنة السادسة قد جاء فيها الإخبار عن وقوع الدعوة، وتعليق الثواب والعقاب بالطاعة والعصيان منهم، فنصّ الآية يقول: (ستُدعون إلى قوم أُولى بأسٍ شديد...) وقد وقعت الدعوة منه صلى الله عليه وآله وسلم حقّاً فى حُنين ومؤتة وتبوك.أمّا آية سورة التوبة فى المخلَّفين المنافقين فقد أغلقت عليهم طريق التوبة ومنعت خروجهم مع النبىّ ومع غيره أيضاً، إذ كيف يدعوهم أبو بكر أو عمر إلى جهاد الكفّار وهم قد شهد عليهم الله ورسوله بالكفر والموت على الضلال؟! فقال تعالى فى تلك الآية نفسها: (فإنْ رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معىَ عدوّاً إنّكم رضيتم بالقعود أوّل مرّة فاقعُدوا مع الخالفين - ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تَقُم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) [۱۵۲] .وهذا صريح فى حكم الله تعالى عليهم بالكفر وقت نزول الآيات، وأنّهم يموتون على الكفر والضلال، وأكّد ذلك بقوله فى الآية التالية مباشرة: (ولاتُعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريدُ اللهُ أن يعذّبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) [۱۵۳] . [صفحه ۸۹] فهؤلاء إذن المقطوع بكفرهم وموتهم على الكفر، غير أُولئك الّذين ذكرتهم سورة الفتح ووعدتهم بالثواب إنْ هم استجابوا للداعى!ثمّة التفاتة هامّة جدّاً، وهى: أنّه فى ذات الواقعة التى نزلت فيها الآية الأُولى: (قُل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعَون إلى قوم أُولى بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يُسلمون فإنْ تُطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً...) أى فى الحديبية ذاتها، قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لوفد قريش: «يا معشر قريش، لَتنتهنَّ أو لَيبعثنَّ اللهُ عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن قلبه على الإيمان» قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «خاصف النَعل» وكان قد أعطى عليّاً نعلاً يخصفها.أخرجه الترمذى والنسائى وابن أبى شيبة بأسانيد صحيحة [۱۵۴] .ونحو هذا تماماً قاله النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لوفد ثقيف، قال: «لَتُسلمُنَّ أو لأبعثنَّ عليكم رجلاً منّى ـ أو قال: مثل نفسى ـ ليضربنّ أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم» قال عمر: فو الله ماتمنّيت الإمارة إلّا يومئذٍ، فجعلتُ أنصب صدرى رجاء أن

يقول: هو هـذا. فالتفتَ إلى عليٍّ فأخذ بيده وقال: «هو هذا، هو هذا» [۱۵۵] .ونحوه ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه واقعٌ بعده، فقال: «إنّ منكم من يقاتل [صفحه ۹۰] على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله» فاستشرف له القوم، وفيهم أبو بكر وعمر، فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا». قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل» وكان عليٌّ يخصف نعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم [۱۵۶] .وهذه نصوص اجتمعت صراحةً على نفي وإثبات:نفت صراحةً أن يكون الداعي أبو بكر أو عمر..وأثبتت صراحةً أنّ الداعي بعد الرسول (ص) هو الإمام عليّ (ع)!وبعد وجود هذه النصوص الموثّقة المتضافرة فلا مسوِّغ للرجوع إلى مداخلات المتكلّمين.

النصوص الصحيحة الحاكمة

نصوص أيقن بها طائفة من الصحابة، على رأسهم عليّ، يقيناً لا يسمح أن يتسرّب إلى مدلولها شكّ.. يقيناً دفع عليّاً عليه السلام أن يردّ بدهشة على من دعاه لتعجيل البيعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قائلًا: «ومن يطلب هذا الأمر غيرنا» [۱۵۷] .لكنّ تسارع الأحداث تلك الأثناء، وإحكام القبضة، لم يتركا لشيء من تلك النصوص موقعاً يرتجى، أمّا حين تحقّقت بارقة أمل يوم اجتماع الأصحاب الستّة للشورى ولم يُبَتّ في الأمر بعد، فلم يتوانَ عليٌّ عليه السلام عن التذكير بطائفة منها [۱۵۸] .وبعد أن تمّت له البيعة كانت الأذهان أكثر استعداداً للإصغاء، وأوسع فسحةً للتأمّل.. فبالغ في التذكير ببعضها، نصّاً أو دلالةً، حتّى امتلأت بها خطبه الطوال والقصار، وكان لايخلو تذكيره أحياناً من تقريع، ظاهر.. أو خفيّ!وبواحد من مواقفه نستهلّ هذه الطائفة من النصوص:۱ ـ قوله (ص): «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»:خطب الإمام عليٌّ عليه السلام في الناس، فقال: أنشدُ اللهَ مَن سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [صفحه ۹۲] يقول يوم غدير خُمّ: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» لَما قام فشهد!فقام اثنا عشر بدرياً، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خُمّ: «ألستُ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قلنا: بلى، يا رسول الله.قال: «فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه» [۱۵۹] .وحديث غدير خمّ لم يرد في مسند أحمد أكثر منه طُرُقاً إلّا حديثاً واحداً [۱۶۰] أمّا في كتاب (السُنّة) لابن أبي عاصم (ت /۲۸۷ هـ) وتاريخ ابن كثير، فلا يضاهيه حديث [۱۶۱] ! ورواه غيرهم بأسانيد صحيحة، كالترمذي وابن ماجة، والنسائي، وابن أبي شيبة، والحاكم [۱۶۲] ونَصَّ الذهبي على تواتره [۱۶۳] . [صفحه ۹۳] لكن بعد هذا جاء دور المتكلّمين، فبذلوا جهوداً مضنيةً في تأويله وصرفه عن معناه، بل تجريده من كلّ معنىً!!فحين رأوا أنّ الإقرار بدلالته على الولاية العامّة يفضي إلى إدانة التاريخ وتخطئة كثير من الصحابة، ذهبوا إلى تأويله بمجرّد النصرة والمحبّة، فيكون معنى الحديث: يا معشر المؤمنين، إنّكم تحبّونني أكثر من أنفسكم، فمن يحبّني يحبّ عليّاً، اللّهمّ أحبّ من أحبّه، وعادِ من عاداه [۱۶۴] .وحين رأوا أنّ جماعة من الصحابة قد عادَوه وحاربوه، ومنهم: عائشة وطلحة والزبير، وأنّ آخرين قد أسّسوا دينهم ودنياهم على بغضه، ومنهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة ومروان وعبد الله بن الزبير.. ذهبوا إلى حقّ هؤلاء في الاجتهاد مقابل ذلك النصّ، فهم معذورون وإن أخطأوا، بل مأجورون أجراً واحداً لأجل اجتهادهم [۱۶۵] .وهكذا أصبح الخروج على نصوص الشريعة حتّى في مثل تلك الطرق السافرة، اجتهاداً يُثاب صاحبه، وليس بينه وبين الآخر الذي تمسّك بالشريعة وقاتل دونها إلّا فرق الأجر! فالذي قاتل الشريعة له نصف أجر الذي قاتل دونها!!لقد كان الأوْلى بهم أن يتابعوا سُنّة الرسول، ويوقّروا نصّه الشريف الثابت عنه، بدلاً من إفراطهم في متابعة الأمر الواقع الذي ظهر فيه اختلاف كثير.. [صفحه ۹۴] فالحقّ أنّ هذا نصٌّ صريح في ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام، لا يحتمل شيئاً من تلك التأويلات التي ما كانت لتظهر لولا الانحياز للأمر الواقع ومناصرته.وممّا يزيد في ظهور هذا النصّ نصوص أُخرى تشهد له وتبيّنه، كما نرى في النصوص الآتية:۲ ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». حديث صحيح [۱۶۶] .۳ ـ ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ: «إنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي.. إنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي» يكرّرها [۱۶۷] .۴ ـ ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: «أنت وليّي في كلّ مؤمن بعدي». أو: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة» [۱۶۸] .وبعد اليقين بصحّة

هـذه الاحاديث، لايمكن أن تفسّر بحسب ظاهرها فتدين الواقع التاريخى!فلمّا أرادوا تفسير الولاية هنا أيضاً بالنصرة والمحبّة، نظير ما فى قوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) [۱۶۹] .، صدمهم قوله: «بعدى» الذى لا يمكن أن يتشابه معناه! [صفحه ۹۵] ولمّا كانت قدسية الرجال أعظم من قدسية النصّ، رغم ثبوت صحّته عندهم، شهروا سيف التكذيب، فقالوا: إسناده صحيح مع نكارة فى متنه لشذوذ كلمة (بعدى)!ولمّا أرادوا البرهان على هذه النكارة والشذوذ فمن اليسير جدّاً أن يرموا بها «شيعيّاً» ورد فى إسناد بعضها [۱۷۰] .لكن من البديهى أنّ مثل هـذا البرهان الأخير يحتاج إلى توثيق، خصوصاً إزاء حديث يرد بأسانيد صحيحة متعدّدة، فكيف وثّقوه؟!ليتهم لم يوثّقوه، ليتهم تركوه مجازفةً كمجازفات الكثير من أصحاب الأذواق!!قالوا فى توثيقه: يؤيّده أنّ الإمام أحمد روى هـذا الحديث من عدّة طرق ليست فى واحدة منها هذه الزيادة [۱۷۱] .إنّها مقالةُ مَن لايخشى فضيحة التحقيق!!فالنصوص الثلاثة التى ذكرناها لهذا الحديث، وفى جميعها كلمة (بعدى) جميعها فى مسند أحمد [۱۷۲] .وأغرب من هذا أنّ المحقّق الذى ينقل قولهم المتقدّم ويعتمده، يخرّج بعضها على مسند أحمد نفسه [۱۷۳] . [صفحه ۹۶] ومرّة أُخرى ينهار ذلك البرهان وتوثيقه أمام الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وفيه قوله (ص): «أنت وليّى فى كلّ مؤمن بعدى» [۱۷۴] ، وليس فى إسناده واحد من أُولئك (الشيعة) الّذين اتُّهموا به! بل اتّفق على صحّته الحاكم والذهبى والألبانى [۱۷۵] .إنّ هذه الدلائل ليست فقط تثبت صحّة قوله «بعدى»، إنّما تثبت أيضاً أنّ الرواية التى وردت فى مسند أحمد أو غيره وليس فيها كلمة «بعدى» إنّما قام (بتهذيبها) أنصار التاريخ الّذين نصروه حتّى فى أوج انحرافه عن السُنّة..كيف لا؟! وهى إدانة صريحة لمساره المنحرف الذى صار عقيدةً يتديّنون بها، ويضلّلون مَن خالفهم فيها!۵ ـ الحديث الذى غاب عن (السنن) وأظهره أصحاب التاريخ والتفسير:قوله (ص): «إنّ هذا أخى، ووصيّى، وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» [۱۷۶] .فإذا كان الذى دهش قريشاً فى جاهليتها هو أن يؤمر أبو طالب بأن [صفحه ۹۷] يسمع لابنه ويطيع [۱۷۷] ، فقد دهشها بعد الإسلام أن يؤمر كلّ الصحابة بذلك!قال ابن كثير: ذكروا فى إسناد هـذا الحديث عبد الغفّار بن القاسم، وهو كذّاب، شيعى، اتّهمه علىّ بن المدينى بوضع الحديث، وضعّفه الباقون [۱۷۸] .لكنّ أبو مريم، عبد الغفّار بن القاسم، قد حفظ له التاريخ غير ما ذكر ابن كثير!حفظ لنا خلاصة سيرته، وصلته بالحديث، ومنزلته فيه، ثمّ حفظ علّة تركهم حديثه:قال ابن حجر العسقلانى: (كان ـ أبو مريم ـ ذا اعتناء بالعلم وبالرجال.. وقال شعبة: لم أرَ أحفظ منه.. وقال ابن عدىّ: سمعتُ ابن عقدة يثنى على أبى مريم ويُطريه، ويجاوز الحدّ فى مدحه، حتّى قال: لو ظُهر على أبى مريم مااجتمع الناس إلى شعبة) [۱۷۹] .إذن لأمرٍ ما لم يُظهَر على أبى مريم! قال البخارى: عبد الغفّار بن القاسم ليس بالقوىّ عندهم.. حدّث بحديث بُرَيدة «علىٌّ مولى مَن كنتُ مولاه» [۱۸۰] . [صفحه ۹۸] لكنّ حديث بريدة هـذا قد أخرجه ابن كثير نفسه من طريق آخر وصفه بأنّه إسناد جيّد قوىّ، رجاله كلّهم ثقات [۱۸۱] .!ذلك هو أبو مريم!۶ ـ خلاصة وصيّة النبىّ لأُمّته فى حفظ رسالته، قال (ص): «ألا ـ أيُّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربّى فأُجيب، وأنا تاركٌ فيكم الثَقَلَين: أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.. وأهل بيتى، أُذكّركم الله فى أهل بيتى، أُذكّركم الله فى أهل بيتى، أُذكّركم الله فى أهل بيتى» [۱۸۲] .ـ «إنّى تاركٌ فيكم ماإنْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتّى يردا علَىَّ الحوض.. فانظروا كيف تخلفونى فيهما» [۱۸۳] .ـ «إنّى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، وأهل بيتى...» [۱۸۴] .تلك خلاصة رسالة السماء... ومفتاح المسار الصحيح الذى أراده النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لشريعته.وهذا كلام لا يختلف فى فهمه عامّىٌّ وبليغ.. فمن أين يأتيه التأويل؟!إنّه لو قُدِّر أن تتحقّق الخلافة لعلىٍّ أوّلاً، لَما ارتاب أحد فى هذا النصّ [صفحه ۹۹] الصريح الصحيح.. لكنّ اختلاف المسار الجديد عنه، وتقديس الرجال، هما وراء كلّ ما نراه من ارتياب وتجاهل لنصّ لا شىء أدلّ منه على تعيين أئمّة المسلمين، خلفاء الرسول!!إنّ أغرب ما جاء فى (تعطيل) هذا النصّ قولٌ متهافتٌ ابتدعه ابن تيميّة حين قال: (إنّ الحديث لم يأمر إلّا باتّباع الكتاب، وهو لم يأمر باتّباع العترة، ولكن قال: أُذكّركم الله فى أهل بيتى) [۱۸۵] .!فقط وفقط، ولا كلمة واحدة!!ولهذا القول المتهافت مقلّدون، والمقلِّد لا يقدح فى ذهنه ما يقدح فى أذهان البسطاء حتّى ليعيد على شيخه السؤال: أين الثقل الثانى إذن؟! أين الخليفة الثانى إذن، والنبىّ يقول «الثقلين.. خليفتين»؟! ومَن هذان اللذان لن يفترقا حتّى

يردا الحوضَ معاً؟!«كتاب الله» و «عترتى أهل بيتى» إنّهما المحوران اللـذان سيمثّلان محلّ القُطب فى مسار الإسلام الأصيل غـداً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.وليس بعد هذا الحديث، وحديث غدير خمّ، مايستدعى البحث عن نصوص أُخر لمن شاء أن يؤمن بالنصوص..

الخطاب الجامع.. مفترق الطرق

فى حديث صحيح، جمع الخطاب وأوجز:قال الصحابى زيد بن أرقم: لمّا دفع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع ونزل [صفحه ۱۰۰] غدير خمّ، أمر بدوحاتٍ فقُمِمْن [۱۸۶] ، ثمّ قال: «كأنّى دُعيتُ فأجبتُ، وإنّى تارك فيكم الثَقَلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى. فانظروا كيف تخلفونى فيهما! فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَىَّ الحوض».ثمّ قال: «إنّ الله مولاى، وأنا ولىّ كلّ مؤمن» ثمّ أخذ بيد علىّ رضى الله عنه، فقال: «مَن كنتُ وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه».قال أبو الطفيل: قلتُ لزيد: سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!قال: نعم، وإنّه ما كان فى الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأُذنيه [۱۸۷] .ص.هذا الخطاب، على نحو مائة ألف من المسلمين شهدوا حجّة الوداع، وعند مفترق طرقهم إلى مدائنهم، لم يعِشِ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعده إلاّ نحو ثمانين يوماً [۱۸۸] ، ليكون هذا الخطاب ذاته بعد اليوم الثمانين مفترق الطرق بين المسلمين، وحتّى اليوم!!ثمانون يوماً لا تكفى لنسيانه!! [صفحه ۱۰۱] ودواعى الذكرى التى أحاطت به لا تسمح بتناسيه!!لكن لم يحدّثنا التاريخ أنّ أحداً قد ذكره فى تلك الأيّام الحاسمة التى ينبغى ألاّ تعيد الأذهان إلى شىء قبله، فهو النصّ الذى يملأ ذلك الفراغ، ويسكن له ذلك الهيجان، وتنقطع دونه الأمانىّ، أو فرص الاجتهاد..«إنّى يوشك أن أُدعى فأُجيب..وإنّى تارك فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى..مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه..».والعهدُ، بعدُ، قريبٌ، جدُّ قريب..فإذا وجدنا اليوم من لم يؤمن بالنصّ على خليفة النبىّ (ص)، فليس لأنّ النبىّ لم يَقُلْه، بل لأنّ الناس يومئذٍ لم يذكروه!!۷ـ قوله (ص):«أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى».حديث متواتر لا خلاف فيه [۱۸۹] .، لكنّ الكلام فى تأويله، وما أغنانا عن التأويل الذى ما أبقى من النصّ إلاّ حروفه!!غريب جدّاً ما ذهب إليه المتأوّلون من أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يَقُلْهُ إلاّ تطييباً لخاطر علىٍّ وترغيباً له فى البقاء فى المدينة لمّا أرجف به المنافقون وقالوا: خلّفك مع النساء والصبيان! وليس فيه من تشابه المنزلتين إلاّ [صفحه ۱۰۲] القرابة [۱۹۰] .غريب فى نسبة هذه الاغراض إلى حديث نبوىّ ظاهر، إلى حديث النبىّ (ص) الذى لا يقول إلاّ حقّاً، ومع علىٍّ (ع) بالذات، ربيب النبىّ وبطل الملاحم!!وغريب فى تناسى القرآن، وكأنّ القرآن لم يذكر شيئاً من منزلة هارون من موسى!!وغريب فى الغفلة عمّا يضفيه هذا التأويل إلى الإمام علىّ (ع) وسعد وابن عبّاس، على الأقلّ، من سذاجة فى التفكير وقصور فى الفهم!!ألم يكن الإمام علىٌّ (ع) يعرف قرابته من رسول الله (ص) قبل ذلك اليوم؟!أم كان سعد لم يتمنّ إلاّ هذه القرابة وهو يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى علىٍّ ثلاث خصال لئن يكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلىَّ من حمر النعم، سمعته يقول: «إنّه منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى...» [۱۹۱] ؟! فهل فهم منه القرابة، لا غير؟!أم كان ابن عبّاس لا يريد إلاّ القرابة حين يذكر لعلىٍّ (ع) عشر خصال ليست لأحدٍ من الناس، فيعدّ فيها هذا الحديث [۱۹۲] ؟! فهل كان النبىّ (ص) ليس له ابن عمّ إلاّ علىّ (ع)؟! [صفحه ۱۰۳] لقد كان لابن عبّاس من قرابة النبىّ (ص) مثل مالعلىّ عليه السلام فكلاهما ابن عمّه صلى الله عليه وآله وسلم!! ويساويهما فى هذه القرابة كلّ أولاد أبى طالب وأولاد العبّاس وأولاد أبى لهب!ولا يخفى أيضاً أنّ قرابة علىٍّ للرسول ليست كقرابة هارون لموسى (صلوات الله عليهم أجمعين)، فليست هى المعنيّة فى النصّ قطعاً..وغريب أن يخفى على هؤلاء ما هو ظاهر لمن هو دونهم: فقوله (ص): «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى» ظاهر فى عمومه واستيعابه جميع مصاديق تلك المنزلة، ومن هنا استثنى النبوّة، فقال (ص): «إلاّ أنّه لانبىّ بعدى» فلمّا استثنى النبوّة فقد نصّ على ثبات المصاديق الأُخر، وهى: (الوزارة والخلافة).فلو لم يرد النصّ إلاّ فى غزوة تبوك، لَما أفاد ذلك تخصيصه بتلك الغزوة مادام الحديث نصّاً فى العموم.ولقد ورد هذا النصّ نفسه فى غير غزوة تبوك أيضاً، كما

رواه ابن حبّان وغيره في خبر المؤاخاة في السـنة الاَولى من الهجرة النبويـة [۱۹۳] .۸ ـ قوله (ص): «يكون بعدي اثنا عشـر خليفة، كلّهم من قريش».متواتر، لانزاع فيه [۱۹۴] .! [صفحه ۱۰۴]

اهل البيت أولاً

يقول ابن تيميّـة: إنّ بني هـاشم أفضـل قريش، وقريش أفضل العرب، والعرب أفضل بني آدم، كما صـحّ عن النبيّ صـلى الله عليه وآله وسلم قوله في الحديث الصحيح: «إنّ الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش»..ويمكن أن يضاف إلى هذا كثير:أ ـ «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» عليٌّ وفاطمة والحسن والحسـين (عليهم السـلام)، ولا ـ أحـد سواهم، ذلـك حين نزل قوله تعـالى: (إنّمـا يريـد الله ليُـذهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) [۱۹۵] فأدار عليهم الكساء وقال فيهم قوله المتّفق عليه هـذا [۱۹۶] .ب ـ «نحن بنو عبـد المطّلب سادة أهل الجنّة: أنا، وحمزة، وعليّ، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهديّ» [۱۹۷] .جـ ـ «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» [۱۹۸] . [صفحه ۱۰۵] د ـ «المهـديّ من عترتي، من وُلْـد فاطمـة» [۱۹۹] .فلم يبق في الاَـمر أدنى غموض، بعـد تقـديم بني هـاشم الصـريح، وتقـديم أهل البيت خاصّة على سائر بني هاشم، وصراحة النصوص المتقدّمة، لا سيّما الغدير والولاية والثقلين، وببساطة كبساطة هذا الدين الحنيف، وبعيداً عن شـطط التأويل بُعـد هـذا الـدِين عن التعقيـد والتنطُّع، تبـدو عندئذٍ كم هي ظاهرةٌ إمامة اثني عشـر سـيّداً من سادة أهل البيت عليهم السلام.. وتحديداً: أوّلهم عليّ، فالحسن، فالحسين، وآخرهم المهديّ (عليهم السلام).ومن لحظ الاضطراب الشديد والتهافت الذي وقع فيه شـرّاح الصحاح عند حديث الخلفاء الاثني عشر [۲۰۰] ، ازداد يقيناً في اختصاص سادة أهل البيت بهـذا الحديث، دون سواهم.وقد اهتـدى إلى هذا المعنى بعض من شـرح الله صدره للاِسـلام من أهل الكتاب لمّا رأوا في أسـفارهم الخبر عن اثني عشـر إماماً يكونون بعـد النبيّ العظيم من وُلْد إسـماعيل [۲۰۱] ، فناقضـهم ابن كثير، نقلاً ـ عن شـيخه ابن تيميّـة، ليجعـل هؤلاء العظماء هم الخلفاء الّـذين يعدّون فيهم معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك وهشام، أو الّذين لا يدرون من هُم [۲۰۲] . [صفحه ۱۰۶] وأهل البيت أوّلاً:لو لم يكن ثمّة نصّ في الاِمامة، وكان للاُمّة أن تُرشّح لها أهلها، وبعد ما تقدّم في تفضيل بني هاشم، وأهل البيت خاصّة، فهم الاَوْلى بالاِمامة بلا منـازع.وأهـل الـبيت أوّلاً ـ:لو كـانت الخلافـة محصورة في قريش، إمّـا لنصّ النـبيّ صـلى الله عليه وآله وسـلم، أو لقول المهـاجرين في السـقيفة، (أنّ قريشـاً أولياؤه وعشـيرته)، (وقومه أوْلى به)، (وهيهات أن يجتمع سـيفان في غمـد)، (ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها مَن كانت النبوّة فيهم).وأخيراً: (فمَن ينازعنا سـلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشـيرته، إلاّ مُدلٍ بباطلٍ، أو متجانف لاِثم، أو متورّط في هَلَكة) [۲۰۳] .فإنّ هـذا كلّه لا يرشّـح أحـداً قبل بني هاشم، فإذا كان قومه أوْلى به فلا ينازعهم إلاّ ظالم، فما من أحد أوْلى به من بني هاشم، ثمّ أهل البيت خاصّـة!فبنو هاشم، دون سواهم من بطون قريش، هم المعنيّون بآيـة الاِنـذار في بـدء الـدعوة النبويـة: (وأنـذر عشـيرتك الاَقربين) [۲۰۴] .وبنو هاشم هم المعنيّون بالمحاصـرة في شـعب أبي طالب ثلاث سنين، وليس معهم إلاّ بني المطّلب، أمّا بطون قريش الاُخر، تَيم وعديّ [صـفحه ۱۰۷] وأُميّـة ومخزوم وزهرة وغيرها، فهم الّذين تحالفوا على محاصـرة عشـيرة محمّد الاَقربين، بني هاشـم وبني المطّلب!!فهـل خفي هـذا على أحـد، لو خفيت عليه النصوص؟!فالـذي جـادل في النصوص ودَفَعها بأنّها لو صـحّت، أو لو أفادت الخلافة، لَمّا خفيت على عظماء الصحابة وجمهورهـم.. عليه أن يقف أمام هذه الحقيقة، كيف خفيت عليهم؟!

سلوک النبی فی ابلاغ إمامة علی

عمليّاً كان النبيّ صـلى الله عليه وآله وسـلم يمارس إعداد الإمام عليّ (ع) لخلافته، ومنذ بدء الدعوة، ويُظهر لصـحبه وللناس أنّه ينصـبه لـذلك، عملاً مشـفوعاً بالقول أحياناً، مصـرحاً بين الحين والحين بأنّ ذلك من الله تعالى وبأمره..منذ البدء، نشأ عليٌّ (ع) في بيت النبيّ (ص) يتبعه اتّباع الظلّ، حتّى بُعث صـلى الله عليه وآله وسلم فكان عليٌّ أوّل من آمن به مع زوجته خديجة [۲۰۵] .وكان النبيّ صلى الله

علیه وآله وسلم یخرج إلی البیت الحرام لیصلّی فیه، فیصحبه علیٌّ (ع) وخدیجة فیصلّیان خلفه، علی مرأیً من الناس، ولم یکن علی الأرض من یصلّی تلک الصلاة غیرهم [۲۰۶] . [صفحه ۱۰۸] وکان الإمام علیٌّ (ع) یصف أیّامه تلک، فیقول: «وقد علمتم موضعی من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بالقرابة القریبة والمنزلة الخصیصة، وضعنی فی حِجره وأنا ولد، یضمّنی إلی صدره... وکان یمضغُ الشیء ثمّ یُلقمنیه، وما وجد لی کذبةً فی قول، ولا خَطلةً فی فِعل... ولقد کنتُ أتّبعه اتّباع الفصیل أثَرَ أُمّه، یرفعُ لی فی کلّ یوم من أخلاقه عَلَماً ویأمرنی بالاقتداء به، ولقد کان یجاور فی کلّ سنةٍ بحِراء فأراه ولا یراه غیری، ولم یجمع بیت واحد یومئذٍ فی الإسلام غیر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وخدیجة وأنا ثالثهما، أری نور الوحی والرسالة، وأشمّ ریح النبوّة...» [۲۰۷] .ویوم أنذر عشیرته الأقربین، رفع شأن علیٍّ علیهم جمیعاً، وخصّه بمنزلة لا یشرکه فیها غیره.ویوم هجرته إلی المدینة، اختار علیّاً یبیت فی فراشه، ثمّ یؤدّی ما کان عند النبیّ (ص) من أمانات، ثمّ یهاجر بمن بقی من نساء بنی هاشم.ثمّ اختصّه بمصاهرته فی خیر بناته سیّدة نساء العالمین [۲۰۸] ، بعد أن تقدّم لخطبتها أبو بکر ثمّ عمر فردّهما صلی الله علیه وآله وسلم [۲۰۹] وقال لها: «زوّجتک أقدم أُمّتی سلماً، وأکثرهم علماً، وأعظمهم حلماً» [۲۱۰] .وآخی بین المهاجرین والأنصار، ثمّ اصطفی علیّاً (ع) لنفسه فقال له: «أنت [صفحه ۱۰۹] أخی فی الدنیا والآخرة»، أو: «أنت أخی وأنا أخوک» [۲۱۱] . فکان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم سیّد المرسلین وإمام المتّقین ورسول ربّ العالمین الذی لیس له خطیر ولا نظیر من العباد، والإمام علیّ بن أبی طالب (ع)، أخوَین [۲۱۲] .وفی سائر حروبه کان لواؤه صلی الله علیه وآله وسلم أو رایة المهاجرین بید الامام علیٍّ علیه السلام [۲۱۳] .وفی خیبر بعث أبا بکرٍ برایة، فرجع ولم یصنع شیئاً، فبعث بها عمر، فرجع ولم یصنع بها شیئاً، فقال صلی الله علیه وآله وسلم: «لأُعطینَّ الرایة رجلًا یحبّ الله ورسوله، ویحبّه الله ورسوله، لا یخزیه الله أبداً، ولا یرجع حتّی یفتح علیه» فدعا علیّاً (ع) ودفع إلیه الرایة ودعا له، فکان الفتح علی یدیه [۲۱۴] .وفی عبارة بعضهم: بعث أبا بکر فسار بالناس فانهزم حتّی رجع إلیه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتّی انتهی إلیه [۲۱۵] .وفی عبارة بعضهم: فعاد یُجبِّن أصحابه ویجبّنونه [۲۱۶] .ویقول صلی الله علیه وآله وسلم لأصحابه: «إنّ منکم من یقاتل علی تأویل القرآن کما قاتلتُ علی تنزیله» فیستشرفون له، کلٌّ یقول: أنا هو؟ وفیهم أبو بکر [صفحه ۱۱۰] وعمر، فیقول: «لا، لا، لکنّه علیّ» [۲۱۷] .ویبعث أبا بکر بسورة براءة أمیراً علی الحجّ، ثمّ یبعث خلفه الإمام علیّاً (ع) فیأخذها منه، فیعود أبو بکر إلی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم فیقول: أحَدَث فیَّ شیءٌ، یارسول الله؟!فیقول صلی الله علیه وآله وسلم: «لا، ولکنّی أُمرتُ ألّا یبلّغ عنّی إلّا أنا أو رجل منّی» [۲۱۸] .وکان لبعض الأصحاب أبواب شارعة فی المسجد، فقال لهم (ص): «سدّوا هذه الأبواب، إلّا باب علیّ» [۲۱۹] .وکان الصحابة عنده فی المسجد، فدخل علیٌّ (ع)، فلمّا دخل خرجوا، فلمّا خرجوا تلاوموا! فرجعوا، فقال لهم صلی الله علیه وآله وسلم: «والله ما أنا أدخلته وأخرجتکم، بل الله أدخله وأخرجکم» [۲۲۰] .ودعاه یوم الطائف یناجیه، فقال بعضهم: لقد طال نجواه مع ابن عمّه!! [صفحه ۱۱۱] فقال لهم صلی الله علیه وآله وسلم: «ما أنا انتجیته، ولکنّ الله انتجاه» [۲۲۱] .فی حجّة الوداع أشرکه فی هدیه، دون غیره من أصحابه أو ذوی قرباه [۲۲۲] .وفیها خطب خطبته الشهیرة فی علیٍّ وأهل البیت علیهم السلام بغدیر خمّ، وتقدّم نصّها آنفاً.وخصّه النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم مدّة حیاته الشریفة بمنزلةٍ لیست لأحد! خصّه بساعةٍ من السحر یأتیه فیها کلّ لیلة [۲۲۳] .وإذ نزل قوله تعالی: (وَأْمُرْ أهلَک بالصلاة) [۲۲۴] کان النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم یأتی باب علیٍّ صلاة الغداة کلّ یوم، ویقول: «الصلاة، رحمکم الله، إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً» [۲۲۵] .وحین یُتوَفّی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یخصُّ علیّاً بمیراثه دون عمّه العباس، فسُئل وُلْدُ العبّاس عن ذلک فقالوا: إنّ علیّاً کان أوّلنا به لحوقاً، وأشدّنا به لصوقاً [۲۲۶] .وغیر هذا کثیر، وقد عرفه الصحابة فی حیاة الرسول (ص)..

الصحابة والمعرفة بالتعیین

سمع الصحابة وشهدوا نصوص النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وسلوکه فی نصب الإمام علیٍّ علیه السلام وتعیینه لخلافته مباشرةً،

فأدركوا ذلك ووعوه، حتّى ظهر فى أقوال بعضهم، وظهر عند آخرين قولاً وعملاً.فاشتهر عن بعضهم تمنّيه أن لو كانت له واحدة من تلك الخصال التى خُصَّ بها علىٌّ عليه السلام، كما عُرف ذلك عن: عمر بن الخطّاب، وسعد بن أبى وقّاص، وعبد الله بن عمر [۲۲۷] .واشتهر عن آخرين متابعتهم له حتّى عُرفوا فى ذلك العهد بشيعة علىّ (ع)، منهم: أبو ذرّ، وعمّار، وسلمان، والمقداد [۲۲۸] .بل كان عامّة المهاجرين والأنصار لا يشكّون فى أنّ علياً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۲۲۹] .وأبو بكر سمع بنفسه قول ابنته عائشة لرسول الله (ص) بصوت عال: «والله لقد علمتُ أنّ علياً أحبّ إليك من أبى»! فأهوى إليها ليلطمها، وقال: ياابنة فلانة، أراكِ ترفعين صوتك على رسول الله [۲۳۰] . [صفحه ۱۱۳] قال معاوية بن أبى سفيان فى رسالته إلى محمّد بن أبى بكر، وهى الرسالة التى أشار إليها الطبرى ثمّ قال: (كرهتُ ذِكرها لأُمور لا تحتملها العامّة [۲۳۱] قال فيها معاوية مخاطباً محمّد بن أبى بكر: «قد كنّا وأبوك معنا فى حياة نبيّنا نرى حقّ ابن أبى طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا» [۲۳۲] .وشهيرةٌ كلمة عمر بن الخطّاب يوم غدير خمّ: «هنيئاً لك يابن أبى طالب، أصبحتَ مولى كلّ مؤمن ومؤمنة» [۲۳۳] .علماً أنّ هذه الكلمة «مولى» و «ولىّ» لم تُعرف لأحد من الصحابة إلاّ لعلىٍّ عليه السلام فى جملة من الأحاديث النبويّة الشريفة كما تقدّم آنفاً.بل فى القرآن أيضاً: (إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) [۲۳۴] .قال الآلوسى: (غالب الأخباريّين على أنّها نزلت فى علىّ بن أبى طالب [۲۳۵] ، وعليه شِبهُ إجماعٍ لدى المفسِّرين [۲۳۶] .، وطائفة من أصحاب [صفحه ۱۱۴] الحديث) [۲۳۷] .وهذا كلّه كان يعرفه الصحابة من المهاجرين والأنصار خاصّة لقربهم من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم.ومن قول محمّد بن أبى بكر فى رسالته إلى معاوية، يصف علياً عليه السلام: (وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه، وأبو وُلْده، أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويُطلعه على أمره) [۲۳۸] .وعبد الله بن عبّاس، حبر الأُمّة، يصفه أيضاً لمعاوية، فيسمّيه (سيّد الأوصياء) [۲۳۹] .والحسن السبط عليه السلام خطب خطبته الأُولى بعد وفاة أبيه فذكر: «عليّاً خاتم الأوصياء» [۲۴۰] .وخزيمة بن ثابت، ذو الشهادتين، يصفه لعائشة، فيقول:وصىّ رسول الله من دون أهلِه – وأنتِ على ما كان مِن ذاكَ شاهِدَهْ [۲۴۱] .وهكذا ثبت لقب (الوصى) لعلىٍّ عليه السلام عن عدد من الصحابة غير من ذكرنا، منهم: أبو ذر الغفارى، وحذيفة بن اليمان، وعمرو بن الحمق [صفحه ۱۱۵] الخزاعى، وحُجر بن عَدى (حجر الخير)، وأبو الهيثم بن التيّهان وغيرهم [۲۴۲] .فكما عرفوه «وليّاً» عرفوه «وصيّاً» أيضاً، وذو الشهادتين حين أدلى، فى حديثه المتقدّم، بشهادتيه على أنّ علياً وصىّ النبىّ، لم يقف عند هذا الحدّ، بل ألزم عائشة أيضاً الشهادة على ذلك.إذن لم يكن لقب «الوصىّ» محدَثاً كما صوّره بعض الدارسين الّذين أغفلوا شهادة التاريخ ثمّ أسقطوا نزعاتهم الشخصية على المفاهيم، وعلى التاريخ كلّه، فصوّروا «الوصىّ» وكأنّه من صنع اليهود، ومنهم انتقل إلى المسلمين [۲۴۳] ؟، عن طريق عبد الله بن سبأ المزعوم أو غيره [۲۴۴] ، أو هو من صنع الشيعة ابتدعه هشام بن الحكم (ت ۱۹۱/ هـ) ولم يكن معروفاً قبله لا من ابن سبأ ولا من غيره [۲۴۵] ! فالأشعار والنصوص المتقدّمة المحفوظة عن الصحابة سبقت ميلاد هشام بن الحكم بنحو ثمانين سنة!كلاّ بل ذاك ممّا عرفه الصحابة أو بعضهم لعلىٍّ (ع)، وحفظه تاريخهم، لهم أو عليهم! [صفحه ۱۱۶] ربّما يقال إنّ فى تلك المصادر نزعة شيعية، والشيعة ليس من حقّهم أن يساهموا فى كتابة التاريخ، بل ليس من حقّهم أن يكتبوا تاريخهم الخاصّ أيضاً!لكن هل يقال هذا فى ابن حجر العسقلانى؟!ففى شرحه لصحيح البخارى يُثبت ابن حجر أنّ (الشيعة) كانوا يتداولون أحاديث الوصيّة، فنهضت عائشة فى مواجهة ذلك التيّار بحديثها الذى أثبته البخارى، تقول فيه إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزل به الموت ورأسه على فخذى غُشِىَ عليه ثمّ أفاق، فقال: «اللّهمّ الرفيق الأعلى» فكانت آخر كلمة تكلّم بها «اللّهمّ الرفيق الأعلى».قال العسقلانى نقلاً عن الزهرى فى ما يرويه عن جماعة من أهل العلم فيهم عروة بن الزبير: كأنّ عائشة أشارت إلى ما أشاعته الرافضة أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم أوصى إلى علىٍّ (ع) بالخلافة وأن يوفى ديونه [۲۴۶] .لكن لا العسقلانى ولا الزهرى ولا جماعة أهل العلم يشاءون أن يتقدّموا فى التحقيق خطوة واحدة إلى الأمام؛ لأنّ الخطوة اللاحقة سوف تنفض أيديهم ممّا وضعه فيها حديث عائشة!فالسيّدة أُمّ سَلَمة أقسمت على كذب الحديث المروىّ عن عائشة، حين أقسمت أنّ آخر الناس عهداً بالنبىّ هو علىّ بن أبى طالب! قالت: (والذى أحلف به، إنْ كان علىٌّ

لَاَقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عُدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداةً بعد غداة يقول: «جاء عليّ»؟ مراراً، فجاء [صفحه ۱۱۷] بعد، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنتُ من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه عليٌّ، فجعل يُسارّه ويناجيه، ثمّ قُبض صلى الله عليه وآله وسلم من يومه ذاك وكان أقرب الناس به عهداً) [۲۴۷] .فالصحابة كانوا يعرفون ذلك وإنْ أنكرته عائشة، فدخل حديثها صحيح البخارى دون حديث اُمّ سلمة الذى كان رجاله من رجال الصحيح!والحوارات التى أدارها عمر بن الخطّاب مع ابن عبّاس هى الاُخرى حوارات كاشفة عن هذا المعنى:ففى أحدها: يكشف عمر عن معرفته بذلك فيقول: (لقد كان النبيّ يَربَع فى أمره وقتاً ما، ولقد أراد فى مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعتُ من ذلك، إشفاقاً وحيطةً على الإسلام! وربِّ هذه البَنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً).أمّا ابن عبّاس فيؤكّد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ على عليٍّ (ع)، وأنّه سمع ذلك من عليٍّ والعبّاس [۲۴۸] .وفى اُخرى: يؤكّد عمر إرادة قريش، فيقول: كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتجخفوا جخفاً [۲۴۹] ، فنظرتْ قريش لنفسها فاختارت!! [صفحه ۱۱۸] لكنّ ابن عبّاس يحمل على هذه الحجّة حملاً عنيفاً، متسلّحاً بآى القرآن هذه المرّة، فيقول: (أمّا قولك: كرهت قريش! فإنّ الله تعالى قال لقوم: (ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل اللهُ فأحبط أعمالهم) [۲۵۰] .وأمّا قولك: إنّا كنّا نجخف! فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة، لكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى قال له الله تعالى: (وإنّك لَعلى خُلُقٍ عظيم) [۲۵۱] وقال له: (واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين) [۲۵۲] .وأمّا قولك: فإنّ قريشاً اختارت! فإنّ الله تعالى يقول: (وربّك يخلقُ ما يشاء ويختار ما كانَ لهم الخِيَرة) [۲۵۳] .وقد علمتَ يا أمير المؤمنين أنّ الله اختار من خَلقه لذلك مَن اختار! فلو نظرتْ قريش من حيث نظر الله لها لَوُفِّقَت وأصابت)!!ولهذا الحوار مصادره المهمّة أيضاً [۲۵۴] .وهذه هى نظريّة النصّ فى إطارها التامّ: (وربّك يخلقُ ما يشاء ويختار ما كانَ لهم الخِيَرة)، وإنّ الله اختار مِن خلقه لهذا الأمر مَن اختار..والحوار الطويل الذى أداره عثمان أيّام خلافته مع ابن عبّاس، يكشف [صفحه ۱۱۹] عن وضوح تامّ لهذه القضيّة، إذ يختم عثمان حديثه بقوله: (ولقد علمتُ أنّ الاَمر لكم، ولكنّ قومكم دفعوكم عنه، واختزلوه دونكم)!فأكّد ابن عبّاس هذا المعنى فى جوابه، وذكر العلّة فيه كما يراها، ويرى أنّها لم تكن خفيّةً أيضاً على عثمان، فيقول: (أمّا صَرفُ قومِنا عنّا الاَمرَ فعن حسدٍ قد والله عرفتَه...) [۲۵۵] .هذا كلّه وكثير غيره عرفه الصحابة، وحفظه التاريخ، لهم أو عليهم!فحقَّ إذن لقائل أن يقول: إنّ غالبية المسلمين حين توفّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مع الاتّجاه الذى يمثّله الامام عليٌّ بن أبى طالب (ع) وأصحابه، لاَنّ النبيّ (ص) كان زعيم هذا الاتّجاه [۲۵۶] .لقد كان عامّة المهاجرين والاَنصار لا يشكّون فى أنّ الامام علياً هو صاحب الاَمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

النص فى حديث على

واضح جدّاً فى قراءة تلك الحقبة من التاريخ أنّ عليّاً عليه السلام هو أكثر مَن تبنّى إظهار النصوص والإشارات الدالّة على اختياره من الله لخلافة الرسول، أو النصّ عليه بالاسم.فكلماته دالّة على ثبوت الخلافة له بعد الرسول بلا فصل، وأنّ انتقال [صفحه ۱۲۰] الخلافة إلى غيره كان بغير حقّ، بل استئثار وغلَبَة، بل كلماته نصوص صريحة فى هذه المعانى كما سنرى هنا.

فى حقه خاصة

الامام علىّ عليه السلام هو الذى أعاد إلى الاَذهان أحاديث نبويّةً تبرز حقّه فى الخلافة بلا منازع، لم يكن مأذوناً بها أيّام الخلفاء، إذ منعوا من الحديث إلّا ما كان فى فريضة، يريدون بها الاَحكام وفروع العبادات:۱ ـ فقد جمع الناس أيّام خلافته فخطبهم خطبته المنقولة بالتواتر، يناشد فيها أصحاب رسول الله مَن سمع منهم رسولَ الله بغدير خمّ يخطب فيقول: «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه» إلّا قام فشهد [۲۵۷] .۲ ـ وعليٌّ (ع) هو الذى أعاد نشر حديث آخر يقدّمه على أبى بكر وعمر خاصّة، إذ أخبر النبيّ أنّ مِن أصحابه مَن يقاتل بعده على تأويل القرآن كما قاتل هو صلى الله عليه وآله وسلم على تنزيله، فتمنّى أبو بكر أن يكون هو ذلك الرجل، فلم يصدّق النبيّ

أمتيّته، بـل قـال له «لا»! فتمنّى ذلك عمر لنفسه فلم يكن أحسن حظّاً من أبى بكر، ثمّ قطع النبىّ الاَمانىّ كلّها حين أخبرهم أنّه علىٌّ، لا غير [٢٥٨] .هـذه الاَحاديث وغيرها وإنْ رُويت عن غيره إلاّ أنّ روايتها عنه امتازت بكونها خُطَباً على جمهور الناس، لا حديثاً لواحد أو لبضعة نفر، وهذا أبلغ فى التأكيد على حقّه الثابت له، وأيقن بأنّ كثيراً من الصحابة كانوا يعرفونه ولا يجهلونه! [صفحه ١٢١] ٣ـ وعلىٌّ (ع) جدّد التذكير أيضاً بما يبرز حقّه فوق أبى بكر خاصّة، حين ذكّر الناس بقصة أخذه بسورة براءة من أبى بكر! روى النسائى بإسناد صحيح عن علىٍّ عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ببراءة إلى أهل مكّة مع أبى بكر، ثمّ أتبعه بعلىٍّ فقال له: «خـذ الكتـاب فـامض به إلى أهـل مكّـة» قال: فلحقته فأخـذتُ الكتاب منه، فانصـرف أبو بكر وهو كئيب، فقال: يا رسول الله، أَنَزَلَ فىَّ شىء؟! قال: «لا، إنّى أُمرت أن أُبلّغه أنا أو رجل من أهل بيتى» [٢٥٩] .وفى كلّ واحد من هذه الاحاديث ردٌّ على مَن يقول إنّ علياً لم يـذكر شـيئاً يـدلّ على أحقّيّته فى الخلافة! هذا ولمّا ندخل بعد رحاب (نهج البلاغة).٤ـ خطبته الشقشـقيّة التى حظيت دائماً بمزيد من التوثيق [٢٦٠] ، وهى من أكثر كلماته (ع) المشهورة وضوحاً ودلالة وتفصيلاً: [صفحه ١٢٢] «أما والله لقد تقمّصها فلان، وإنّه لَيعلم أنّ محلّى منها محلّ القطب من الرحى، ينحـدر عنّى السيل، ولا يرقى إلىَّ الطير..فسـدلتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كَشحاً، وطفقتُ أرتئى بين: أن أصولَ بيـدٍ جـذّاء، أو أصبر على طخيةٍ عمياء!... فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفى العين قذىً، وفى الحلق شـجاً، أرى تراثى نَهْبـاً!حتّى مضـى الاَوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعـده..فيا عجباً! بينا هو يسـتقيلها [٢٦١] فى حيـاته، إذ عقـدها لآخر بعد وفاته!!لشدَّ ما تشطّرا ضَرعيها!..فصبرتُ على طول المدّة، وشدّة المحنة.. حتّى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعةٍ زَعَم أنّى أحدهم! فيالله وللشورى! متى اعترضَ الريبُ فىَّ مع الاَوّل منهم حتّى صرتُ أُقرن إلى هـذه النظائر؟!..» [٢٦٢] .إذن أبو بكر أيضـاً كان يعلم أنّ محلّ علىٍّ من الخلافـة محلَّ القطب من الرحى!وقـد يبـدو هـذا فى منتهى الغرابـة لمن أَلِفَ التصوّر القدسـى لتعاقب الخلافـة، ذاك التصوّر الـذى صـنعه التاريـخ وفق المنهـج الذى قرأناه فى البحوث المتقدّمة، ومن هنا اسـتنكروه، كما اسـتنكروا سائر كلامه فى الخلافة، وقبله اسـتنكروا جملة من الحديث النبوى الشـريف الذى يصدم [صـفحه ١٢٣] تلك القداسـة!لكنّ الحقيقة، كلَّ الحقيقة، أنّك لو تلمّسـت لـذلك التصوّر القدسـى شاهـداً من الواقع مصـدّقاً له لعـدت بلا شـىء.لم يألف التاريخ الاِصـغاء لعلىّ!!التاريخ الذى أثبت، بما لا يدع مجالاً لشبهة، أنّ عليّاً لم يبايع لاَبى بكر إلاّ بعد ستّة أشهر، صمّ آذانه عن سماع أىّ حجّةٍ لعلىٍّ فى هذا التأخّر!تناقضٌ لم يستوقف أحداً من قارئى التأريـخ!وكيف يسـتوقفهم على عيوب نفسه، وهو وحده الذى صاغ تصوّراتهم وثقافتهم؟!٥ـ من كلام له (ع) بعـد الشورى، وقد عزموا على البيعة لعثمان:«لقد علمتم أنّى أحقّ بها من غيرى، ووالله لأُسـلّمنَّ ما سـلمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جَورٌ إلاّ علَىَّ خاصّـةً؛ التماساً لاَجر ذلك وفضـله، وزهداً فى ما تنافسـتموه من زخرفه وزبرجه» [٢٦٣] .٦ـ «وقوله (ع) وقـد قال قائل: إنّك على هـذا الاَـمر يابنَ أبى طالب لحريص.فقلتُ: بل أنتم والله لاَحرص وأبعـد، وأنا أخصّ وأقرب، وإنّما طلبتُ حقّاً لى، وأنتم تحولون بينى وبينه، وتضـربون وجهى دونه!فلمّا قرّعته بالحجّة فى الملاَ الحاضـرين هبَّ كأنّه بُهِتَ لا يدرى [صفحه ١٢٤] مايجيبنى به» [٢٦٤] .والقائل إمّا سعـد بن أبى وقّاص يوم الشورى على قول أهل السُـنّة، أو أبو عبيـدة بعد يوم السـقيفة على قول الشيعة، وأيّاً كان فهذا الكلام مشـهور يرويه الناس كافّة كما يقول المعتزلى السُـنّى ابن أبى الحديـد [٢٦٥] .٧ـ وقوله (ع): «اللّهمّ إنّى أسـتعديك على قريش ومَن أعـانهم، فـإنّهم قطعوا رحمى، وصـغّروا عظيم منزلـتى، وأجمعوا على منـازعتى أمراً هو لى، ثمّ قـالوا: ألا ـ إنّ فى الحقّ أن تأخـذه وفى الحقّ أن تتركه» [٢٦٦] .٨ـ وقوله (ع): «أمّـا بعـد.. فـإنّه لمّا قبض الله نبيه صـلى الله عليه وآله وسـلم قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع فى حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الاِمرة لغيرنا...».هذه هى مقدّمة خطبته فى المدينة المنوّرة فى أوّل إمارته ولمّا يمض على إمارته أكثر من شهر [٢٦٧] .

فى أهل البيت

مثل ما ظهر هناك من وضوح وتركيز فى استعراض حقّه خاصّة، يظهر هنا فى شأن أهل البيت فى جملة من كلماته (ع): [صفحه ١٢٥]

۱ ـ «لا يُقاسُ بآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاَمّة أحد.. هم أساس الدِين، وعماد اليقين.. ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة..» [۲۶۸] .فبعد ذِكر حقّ الولاية، هذا واحد من مواضع يذكر فيها الوصيّة تصريحاً أو تلميحاً [۲۶۹] ، ثمّ هو الموضع الاَكثر صراحةٍ في نسبة الوصيّة إلى نفسه وأهل البيت (ع)، مع هذا فهو الموضع الذي أهمله الدكتور محمّد عمارة وهو يستقصي هذه المفردة في كلام الامام عليٍّ (ع)، أو غفل عنه، لاَجل أن يقول: (إنّنا لا نجد في خطب عليٍّ وكلامه ومراسلاته ـ التي ضمّها نهج البلاغة ـ وصفه بهذا اللفظ)!هذا كلّه لاَجل أن يدعم مقالةً حلّق فيها بدءاً حين نسب كلمة (وصيّ) في الحديث النبوي «أنت أخي ووصيّي» إلى صنع الشيعة الّذين وضعوها بدلاً من كلمة «وزيري» [۲۷۰] مع أنّ الرواية السُنّية للحديث لم تعرف غير كلمة «وصيّي» [۲۷۱] .۲ ـ قوله (ع): «إنّ الاَئمّة من قريش، غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم» [۲۷۲] . [صفحه ۱۲۶] وقد وقفنا قبلُ على طائفة من النصوص الصحيحة التي اصطفت بني هاشم من قريش وقدّمتهم عليهم، وطائفة من الوقائع وأحداث السيرة التي قدّمت بني هاشم على سواهم، فلا تحتجّ قريش بحجّة إلّا وكان بنو هاشم أوْلى بها.۳ ـ قوله (ع): «أين تذهبون؟! وأنّى تؤفكون؟! والاَعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يُتاه بكم؟!وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق؟!فأنزِلوهم بأحسن منازل القرآن، ورِدُوهم ورود الهيم العطاش.أيّها الناس، خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه يموت من مات منّا وليس بميّت، ويبلى من بلى منّا وليس ببالٍ» [۲۷۳] .استنكار لاذع، وأسف على هؤلاء الناس الّذين تركوا عترة نبيّهم، رغم وضوح الدلائل على لزوم اتّباعهم!۴ ـ قوله (ع): «إنّا سنخُ أصلاب أصحاب السفينة، وكما نجا في هاتيك من نجا، ينجو في هذه مَن ينجو، ويلٌ رهينٌ لمن تخلّف عنهم.. وإنّي فيكم كالكهف لاَهل الكهف، وإنّي فيكم باب حطّة، مَن دخل منه نجا ومن تخلّف عنه هلك، حجّةٌ من ذي الحجّة في حجّة الوداع: إنّي تركت بين أظهركم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل [صفحه ۱۲۷] بيتي» [۲۷۴] .۵ ـ قوله (ع): «انظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سَمْتَهم، واتّبعوا أثَرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردى.. فإنْ لَبَدوا فالبدوا، وإنْ نهضوا فانهضوا.. ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا» [۲۷۵] .۶ ـ قوله (ع): «.. ألم أعمل فيكم بالثَقَل الاَكبر، وأترك فيكم الثَقَل الاَصغر» [۲۷۶] .الثَقل الاَكبر: القرآن الكريم، والثَقل الاَصغر: الحسن والحسين عليهما السلام.۷ ـ قوله (ع): «المهديّ منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة» [۲۷۷] .۸ ـ قوله (ع): «المهديّ منّا، من وُلْد فاطمة» [۲۷۸] .وهكذا تقسّمت كلمات الامام عليٍّ (ع) هذه بين حديث نبويّ بحرفه أو بمضمونه، وبين وصف أو تقييم لحدثٍ تاريخيّ حاسم، وليس في هذا كلّه على الاِطلاق ما يشذّ عن وقائع التاريخ في صغيرة ولا كبيرة. [صفحه ۱۲۸] خلاصة اليقين بحق علي:وإنّ تلك الكثرة من الاَدلة الرصينة لا تدع للناظر اليها بعين الانصاف مجالاً للريب في حقّ علي في الخلافة...لقد أيقن جميع المنصفين بحقّه في الخلافة يقيناً من موقعه الممتاز عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن حياته الخالصة في الاِسلام، وكذلك كان هو.. فلقد كان (ع) في حياة الرسول (ص) يقول: «إنّ الله يقول: (أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم) [۲۷۹] والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتل لاُقاتِلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لاَخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه، فمن أحقّ به منّي» [۲۸۰] .لكنّه (أراده حقّاً يطلبه الناس، ولا يسبقهم إلى طلبه) [۲۸۱] . [صفحه ۱۲۹]

الخاتمة

هذه هي خلاصة قصّة الخلافة في الاِسلام:ـ هي شرط لازم لقيام النظام؛ نظام الدين أو نظام الدنيا، وشرط لازم لحفظه أيضاً..ـ وهي قضيّة شرعيّة، تولّى الله تعالى بذاته أمرها، فنصب لعباده أئمّة يهدون إلى سبيله:(إنّي جاعلك للناس إماماً).. [۲۸۲] .(إنّا جعلناك خليفةً في الاَرض فاحكم بين الناس بالحقّ).. [۲۸۳] .(وجعلنا منهم أئمّةً يهدون بأمرنا).. [۲۸۴] .وأمر عباده بطاعتهم:(وما أرسلنا من رسول إلاّ ليُطاع بإذن الله).. [۲۸۵] . [صفحه ۱۳۰] (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الاَمر منكم).. [۲۸۶] .ـ واختار جلّ جلاله لهذه الاُمّة

بعد نبيّه أئمّةً يهدون بهديه..أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً..وجعل الصلاة عليهم واجبةً مع الصلاة على سيّد رسله وخاتم أنبيائه، بـل جعلهـا جزءاً من شـعيرة الصـلاة، فرضاً كانت أو نفلاً، فلا تقبل الصـلاة لمن ترك الصـلاة عليهم عامـداً..وجعل الحق معهم، يـدور حيثُ داروا..وجعلهم مع القرآن، لا يفارقهم ولا يفارقونه..وجعل الهدايـة منوطـة باتّباعهم..فهم الاَئمّة، سواء أجمع الناس على طاعتهم، أو أجمعوا على خلافهم، فالاِجماع لا يغيّر من واقع الاَمر شيئاً.. فهـذه قمّـة إفِرِستْ أعلى القمم، فهل صارت أعلى القمم بالاِجماع، أم لاَن واقعها كذلك؟ وهل سيغيّر من حقيقة علوّها إجماع أهل الاَرض على أنّ هضبـة الجولان هى أعلى القمم؟إذا كان ذلك يغيّر من الواقع شيئاً، فماذا يقال فى أنبياء الله الـذين أجمعت أقوامهم على تكـذيبهم وقتلهم أو إقصائهم؟!أمّا «الشورى» فى الاِمامـة: فقـد ثبتت صحّة ما صرّح به القرطبى وابن [صفحه ۱۳۱] كثير من أنّهـا أُطروحـة ابتكرهـا عمر بن الخطاب قبل وفاته، وأمر بها، ولم تكن معروفة قبل ذلك..كما أثبت البحث التاريخى أنّ عمر إنّما أمر بها ليقطع الطريق على الصحابة الذين عزموا على المبايعة لعلىّ عليه السلام بعد وفاة عمر، فلم يكتف عمر بتقـديم أُطروحـة الشورى حتّى دعّمها بالتحريض على قتل من بايع لرجل على الطريقـة التى تمّت فيها البيعة لاَبى بكر! بل قتل مَن تتمّ له البيعة كذلك!!(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)

پاورقى

[۱] الأحزاب ۳۳: ۳۸.

[۲] البقرة ۲: ۲۳۳.

[۳] البقرة ۲: ۲۳۳.

[۴] راجع تفسير ابن كثير ۱: ۲۸۵، فتح القدير ۱: ۲۴۶ ـ ۲۴۷، الميزان فى تفسير القرآن ۲: ۲۵۳.

[۵] آل عمران ۳: ۱۵۹.

[۶] آل عمران ۳: ۱۵۹.

[۷] آل عمران ۳: ۱۵۹.

[۸] فتح القدير ۱: ۳۹۳.

[۹] الدر المنثور ۲: ۳۵۸.]

[۱۰] الدر المنثور ۲: ۳۵۸.

[۱۱] تفسير الرازى ۹: ۶۶.

[۱۲] تاريخ الطبرى ۲: ۵۶۶ عن الواقدى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث.

[۱۳] سيرة ابن هشام ۳: ۲۳۴، الاستيعاب ۲: ۳۷، تاريخ الطبرى ۲: ۵۷۳ عن الزهرى.

[۱۴] تاريخ الطبرى ۲: ۶۳۷ عن الزهرى.

[۱۵] محمد عمارة، الخلافة ونشأة الاَحزاب الاِسلامية: ۵۴.

[۱۶] الخلافة ونشأة الاَحزاب الاِسلامية: ۵۷.

[۱۷] الخلافة ونشأة الاَحزاب الاِسلامية: ۵۸.

[۱۸] اُنظر: البداية والنهاية ۳: ۳۴ ـ ۳۸، ترجمة أبى ذرّ فى: الاستيعاب، اُسد الغابة، الاصابة، سِيَر أعلام النبلاء.

[۱۹] الخلافة ونشأة الاَحزاب الاِسلامية: ۵۳.

[۲۰] تفسير الرازى ۹: ۶۶.

[۲۱] آل عمران ۳: ۱۵۹.

[۲۲] الدر المنثور ۲: ۳۵۹.

[۲۳] أخرجه عبد بن حميد، والبخاری فی الَادب المفرد، الدر المنثور ۷: ۳۵۷.

[۲۴] أخرجه الخطیب فی (رواهٔ مالک)، الدر المنثور ۷: ۳۵۷.

[۲۵] مسند أحمد ۵: ۲۷۴.

[۲۶] مسند أحمد ۲: ۳۲۱.

[۲۷] الشوری ۴۲: ۳۸.

[۲۸] الشوری ۴۲: ۳۶ ـ ۳۹.

[۲۹] المیزان فی تفسیر القرآن ۱۸: ۶۵، والأیهٔ من سورهٔ الزمر ۳۹: ۱۸.

[۳۰] الدر المنثور ۷: ۳۵۷.

[۳۱] الدر المنثور ۷: ۳۵۷، وقال: أخرجه الخطیب فی (رواهٔ مالک).

[۳۲] لسان المیزان ۳: ۷۸ / ۲۸۳ ترجمهٔ سلیمان بن بزیع.

[۳۳] ذکرهُ أصحاب السیرهٔ، اُنظر منها: انسان العیون ۲: ۱۵۴.

[۳۴] تفسیر القرطبی: ۱۶۱ ـ ۱۶۲.

[۳۵] تفسیر ابن کثیر ۴: ۱۱۹.

[۳۶] صحیح البخاری ـ کتاب الحدود ـ باب رجم الحبلی من الزنا / ۶۴۴۲، مسند أحمد ۱: ۵۶، سیرهٔ ابن هشام ۴: ۳۰۸، تاریخ الطبری ۳: ۲۰۰.

[۳۷] مقدمهٔ فتح الباری بشرح صحیح البخاری: ۳۳۷. وتبعه القسطلانی فی ارشاد الساری لشرح صحیح البخاری ۱۰: ۱۹.

[۳۸] الشوری ۴۲: ۳۸.

[۳۹] صحیح البخاری ـ کتاب المحاربین ۶ / ۶۴۴۲، مسند أحمد ۱: ۵۶، سیرهٔ ابن هشام ۴: ۳۰۸.

[۴۰] الکامل فی التاریخ ۳: ۶۵، صفهٔ الصفوهٔ ۱: ۳۶۷.

[۴۱] الکامل فی التاریخ ۳: ۶۵، صفهٔ الصفوهٔ ۱: ۳۸۳، طبقات ابن سعد ۳: ۳۴۳.

[۴۲] صفهٔ الصفوهٔ ۱: ۴۹۴.

[۴۳] طبقات ابن سعد ۳: ۲۴۸.

[۴۴] الکامل فی التاریخ ۳: ۶۶ ـ ۶۷.

[۴۵] الکامل فی التاریخ ۲: ۴۲۵.

[۴۶] طبقات ابن سعد ۳: ۲۴۸.

[۴۷] مآثر الاِنافهٔ ۱: ۵۲، الَاحکام السلطانیهٔ ـ للماوردی ـ: ۱۰، الَاحکام السلطانیهٔ ـ للفرّاء ـ: ۲۵ ـ ۲۶.

[۴۸] الفصل ۴: ۱۶۹.

[۴۹] مآثر الاِنافهٔ ۱: ۳۶، الَاحکام السلطانیهٔ ـ للماوردی ـ: ۶، الَاحکام السلطانیهٔ ـ للفرّاء ـ:۲۰.

[۵۰] الَاحکام السلطانیهٔ ـ للماوردی ـ: ۱۷.

[۵۱] مآثر الاِنافهٔ ۱: ۳۷، الَاحکام السلطانیهٔ ـ للفرّاء ـ: ۲۰.

[۵۲] الَاحکام السلطانیهٔ ـ للفرّاء ـ: ۲۰.

[۵۳] مآثر الاِنافهٔ ۱: ۵۸.

[۵۴] أنظر: مآثر الإنافة ۱: ۵۸.

[۵۵] مآثر الإنافة ۱: ۷۱.

[۵۶] الأحكام السلطانية ـ للفرّاء ـ: ۲۴.

[۵۷] الخلافة: ۴۵، عنه: نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ۱۲۶.

[۵۸] شرح الموطّأ ۲: ۲۹۲، عنه: المذاهب الإسلامية: ۱۵۵.

[۵۹] المذاهب الإسلامية: ۱۵۵.

[۶۰] المذاهب الإسلامية: ۱۵۵.

[۶۱] تفسير المنار ۵: ۲۱۵ ـ ۲۱۶ باختصار.

[۶۲] الخلافة: ۵۱، عنه: نظرية الحكم والإدارة في الإسلام: ۱۲۶.

[۶۳] قُتل الإمام الحسين عليه السلام مع نيّف وسبعين من أهل البيت والتابعين وفيهم الصحابي أنس بن الحارث الذي روى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد منكم ذلك فلينصره» البداية والنهاية ۸: ۲۰۱، أُسد الغابة، والإصابة: ترجمة أنس بن الحارث.

[۶۴] قُتل منهم ثمانون صحابياً ولم يبق بدريّ بعد ذلك، وقتل من قريش والأنصار سبع مئة، ومن التابعين والعرب والموالي عشرة آلاف، وأُبيحت المدينة ثلاثة أيّام وانتُهكت الأعراض حتّى ولدت الأبكار لايُعرَف من أولدَهنّ! أُنظر تفاصيل وقعة الحرّة في أحداث سنة ۶۳ هـ في: المنتظم لابن الجوزي، تاريخ الطبري، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ۱۹۵.

[۶۵] أُنظر: الملل والنحل ۱: ۱۴۰، الكشاف للزمخشري: عند تفسيره الآية ۱۲۴ من سورة البقرة (لا ينال عهدي الظالمين).

[۶۶] أُنظر: منهاج السُنّة ۲: ۲۴۱ ـ ۲۴۳ و ۲۵۳، الوصيّة الكبرى: ۵۴.

[۶۷] منهاج السُنّة ۲: ۲۴۵.

[۶۸] الأحكام السلطانية ـ للفرّاء ـ: ۱۰، الأحكام السلطانية ـ للبغوي ـ: ۲۵ ـ ۲۶.

[۶۹] الفِصَل ۴: ۱۶۹، تاريخ الأُمم الإسلامية ـ للخضري ـ ۱: ۱۹۶.

[۷۰] الكامل في التاريخ ۳: ۶۵.

[۷۱] التوبة ۹: ۱۲۸.

[۷۲] الفِصَل ۴: ۱۶۹.

[۷۳] شرح المقاصد ۵: ۲۵۵، ومصادر أُخرى.

[۷۴] الأحكام السلطانية ـ للماوردي ـ: ۶.

[۷۵] الأحكام السلطانية ـ للفرّاء ـ: ۲۰، الفِصَل ۴: ۸۹، مآثر الإنافة ۱: ۳۷، مقدّمة ابن خلدون: ۲۱۴ فصل ۲۶.

[۷۶] الأحكام السلطانية ـ للفرّاء ـ: ۲۰.

[۷۷] الفِصَل ۴: ۸۹.

[۷۸] المقدّمة: ۲۱۵.

[۷۹] والخوارج أيضاً احتجّوا بهذا حين لم يجدوا بينهم قرشياً يسندون إليه الزعامة فيهم.

[۸۰] مقدّمة ابن خلدون: ۲۱۴ ـ ۲۱۵ فصل ۲۶.

[۸۱] صحيح البخاري ـ كتاب الأحكام ـ باب ۲ / ۶۷۲۰.

[۸۲] مسند أحمد ۱: ۱۸، الكامل في التاريخ ۳: ۶۵، صفة الصفوة ۱: ۳۶۷، سير أعلام النبلاء ۱: ۱۰.

[۸۳] الكامل فی التاريخ ۳: ۶۵، صفة الصفوة ۱: ۲۸۳، طبقات ابن سعد ۳: ۳۴۳.

[۸۴] مسند أحمد ۱: ۱۸، صفة الصفوة ۱: ۴۹۴، طبقات ابن سعد ۳: ۵۹۰، سير أعلام النبلاء ۱: ۱۰.

[۸۵] سير أعلام النبلاء ۱: ۱۶۷.

[۸۶] راجع: الكامل فی التاريخ ۲: ۳۲۹ ـ ۳۳۰، الإمامة والسياسة: ۱۲ ـ ۱۶.

[۸۷] صحيح البخاری ـ الفتن ـ باب ۲۰ / ۶۶۹۵.

[۸۸] صحيح البخاری ـ الفتن ـ باب ۳ / ۶۶۴۹، فتح الباری بشرح صحيح البخاری ۱۳: ۷ ـ ۸. ومما يثير الدهشة أن تجد هذه الأحاديث وأكثر منها فی آل أبی سفيان وآل مروان، تجدها فی كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير تحت عنوان (إخباره صلى الله عليه وآله وسلّم لما وقع من الفتن من بنی هاشم بعد موته)!! ۶: ۲۵۵ ـ ط. دار التراث العربی ـ سنة ۱۹۹۲ م، و ۶: ۲۲۷ ـ ط. مكتبة المعارف ـ سنة ۱۹۸۸ م. علماً أنّه وضعها وفق ترتيبه التاريخی فی أحداث العهد الأموی!! ولعل المتهم فی هذا ناسخ أمویّ الهوى غاضه ذكر بنی أُمية فی هذا العنوان فقلبه على بنی هاشم.

[۸۹] تطهير الجنان واللسان: ۳۰.

[۹۰] صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ / ۱.

[۹۱] ابن تيميّة، رأس الحسين: ۲۰۰ ـ ۲۰۱ مطبوع مع استشهاد الحسين ـ للطبری.

[۹۲] الزيدية: ۳۵ ـ ۳۷.

[۹۳] شرح المواقف ۸: ۳۶۵.

[۹۴] شرح المواقف ۸: ۳۶۵.

[۹۵] الفِصَل ۴: ۱۰۹.

[۹۶] المذاهب الإسلامية: ۳۷.

[۹۷] صحيح البخاری ـ باب غزوة خيبر / ۳۹۹۸، صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسِيَر ۳: ۱۳۸۰ / ۵۲، السنن الكبرى ـ للبيهقی ـ ۶: ۳۰۰، تاريخ الطبری ۳: ۲۰۲، الكامل فی التاريخ ۲: ۳۳۱.

[۹۸] نهج البلاغة: ۹۷ الخطبة ۶۷، وأُنظر: الإمامة والسياسة ـ لابن قتيبة ـ: ۱۱.

[۹۹] مسند أحمد ۴: ۲۴۸ ـ ۲۵۱، صحيح مسلم: الطهارة ـ باب المسح على الناصية والعمامة، سنن أبی داود: المسح على الخفّين / ۱۴۹ و ۱۵۲، سنن ابن ماجة: /۱۲۳۶، سنن النسائی: الطهارة / ۱۱۲.]

[۱۰۰] أُنظر: ابن الجوزی، آفة أصحاب الحديث: ۹۹.

[۱۰۱] صحيح البخاری: كتاب الأحكام / ۶۷۵۴.

[۱۰۲] سيرة أبن هشام ۴: ۲۷۲، البداية والنهاية ۴: ۳۱۲.

[۱۰۳] أبو الفرج ابن الجوزی، آفة أصحاب الحديث ـ الباب الأوّل، والثانی، والثالث.

[۱۰۴] فتح الباری بشرح صحيح البخاری ۲: ۱۲۳.

[۱۰۵] ابن الإسكافی، المعيار والموازنة: ۴۱ ـ ۴۲.

[۱۰۶] مسند أحمد ۱: ۳۵۶، وأخرجه الطبری فی تاريخه ۳: ۱۹۶ ولم يذكر فيه قول أُمّ الفضل.

[۱۰۷] ابن أبی الحديد، شرح نهج البلاغة ۹: ۱۹۷.

[۱۰۸] فتح الباری بشرح صحيح البخاری ۲: ۱۲۲ ـ ۱۲۳.

[۱۰۹] المعيار والموازنة: ۴۱.

[۱۱۰] عبد الرزّاق، المصنّف ۵: ۴۲۹ ـ ۴۳۰، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۲: ۱۲۳.

[۱۱۱] ابن تيميّة، منهاج السُنّة ۳: ۲۱۳.

[۱۱۲] الطبقات الكبرى ۴: ۶۶، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۸: ۱۲۴، تهذيب تاريخ دمشق ۲: ۳۹۵ و ۳: ۲۱۸، مختصر تاريخ دمشق ۴: ۲۴۸ رقم ۲۳۷ و ۵: ۱۲۹ رقم ۵۶ ترجمة أُسامة بن زيد وأيّوب بن هلال، تاريخ اليعقوبى ۲: ۷۷، تاريخ الخميس ۲: ۱۷۲، شرح نهج البلاغة ۱: ۱۵۹ و ۲۲۰ و ۹: ۱۹۷.

[۱۱۳] الطبقات الكبرى ۴: ۶۶.

[۱۱۴] أخرجه البخارى ومسلم فى باب فضائل أبى بكر، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۷: ۱۴ ـ ۱۵، صحيح مسلم بشرح النووى ۸: ۱۵۴، وانظر: تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: ۹۰ رقم ۵۶.

[۱۱۵] ترجمة جبير بن مطعم فى: سير أعلام النبلاء ۳: ۹۵ رقم ۱۸، الإصابة ۱: ۲۲۶ رقم ۱۰۹۲.

[۱۱۶] ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة ۱۴: ۲۲.

[۱۱۷] راجع تراجمهم فى: الاستيعاب، وأُسد الغابة، والإصابة، ومختصر تاريخ دمشق، وسير أعلام النبلاء.

[۱۱۸] حلف الفضول: حلف جمع بنى هاشم وزُهرة وتَيم، اجتمعوا عند عبد الرحمن بن جدعان فتحالفوا جميعاً على دفع الظلم واسترداد الحقّ من الظالم وإعادته إلى صاحبه المظلوم.

[۱۱۹] الأغانى ۱۷: ۲۹۵.

[۱۲۰] أُنظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱۳: ۹۸.

[۱۲۱] تاريخ بغداد ۶: ۸۳، الأغانى ۱۵: ۳۲۹.

[۱۲۲] تاريخ بغداد ۶: ۸۱ ـ ۸۶، الأعلام ۱: ۴۰.

[۱۲۳] الفِصَل ۴: ۱۰۸. انظر أيضاً: تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: ۹۰ ـ ۹۱ رقم ۵۶، نظام الخلافة بين أهل السُنّة والشيعة: ۳۹.

[۱۲۴] أُنظر: الجرجانى، شرح المواقف ۸: ۳۶۴ ـ ۳۶۵، التفتازانى، شرح المقاصد ۵: ۲۶۳ ـ۳۶۷.

[۱۲۵] مسند أحمد ۶: ۳۰۰، مجمع الزوائد ۹: ۱۱۳.

[۱۲۶] صحيح البخارى ـ كتاب الأحكام ـ باب الاستخلاف ۶ / ۶۷۹۱، صحيح مسلم ـ باب فضائل أبى بكر ۵ / ۲۳۸۷ والنصّ منه.

[۱۲۷] ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة ۱۱: ۴۳ ـ ۴۶.

[۱۲۸] ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة ۱۱: ۴۹.

[۱۲۹] صحيح البخارى ـ كتاب المرضى ـ باب ۱۷ / ۵۳۴۵ وفيه أن الذى اعترض على الرسول هو عمر، صحيح مسلم ـ كتاب الوصيّة / ۱۵ و ۲۱ و ۲۲، مسند أحمد ۱: ۳۲۴، السيرة النبوية ـ للذهبى ـ ۳۸۴، البداية والنهاية ۵: ۲۴۸.

[۱۳۰] السنن الكبرى ۶: ۳۰۰، تاريخ الطبرى ۳: ۲۰۸، مروج الذهب ۲: ۳۱۶، الكامل فى التاريخ ۲: ۳۳۱، جامع الأُصول ۴: ۴۸۲.

[۱۳۱] سنن الترمذى ـ مناقب أبى بكر ۵ / ۳۶۶۲، سنن ابن ماجة ۱: ۹۷.

[۱۳۲] شرح المواقف ۸: ۳۶۴، شرح المقاصد ۵: ۲۶۶، تثبيت الإمامة: ۹۲ رقم ۵۹.

[۱۳۳] الفِصَل ۴: ۱۰۸.

[۱۳۴] الرياض النضرة: ۴۸ ـ ۴۹.

[۱۳۵] سيأتى فى هذا البحث.

[۱۳۶] سورة النور ۲۴: ۵۵.

[۱۳۷] شرح المواقف ۸: ۳۶۴، شرح المقاصد ۵: ۲۶۵.

[۱۳۸] تفسير القرطبی ۱۲: ۱۹۵.

[۱۳۹] سورة الَاحزاب ۳۳: ۱۰ و ۱۱.

[۱۴۰] تفسير القرطبی ۱۲: ۱۹۶ ـ ۱۹۷، تفسير الشوكانی (فتح القدير) ۴: ۴۷. وانظر أيضاً: الميزان فی تفسير القرآن ۱۵: ۱۶۷.

[۱۴۱] كما تقدّم فی آخر الكلام المنقول عن القرطبی، وهو ماذهب إليه محمّد جواد مغنية فی تفسيره الكاشف ۵: ۴۳۶.

[۱۴۲] الدر المنثور ۶: ۲۱۵ ـ ۲۱۶.

[۱۴۳] الدر المنثور ۶: ۲۱۶.

[۱۴۴] مجمع البيان ۴: ۱۵۲، الميزان ۱۵: ۱۶۶ ـ ۱۶۷، الِافصاح فی الِامامة: ۱۰۲.

[۱۴۵] سورة الفتح ۴۸: ۱۶.

[۱۴۶] الفِصَل ۴: ۱۰۹ ـ ۱۱۰، شرح المواقف ۸: ۳۶۴، شرح المقاصد ۵: ۲۶۶.

[۱۴۷] تفسير الرازی ۲۸: ۹۲ ـ ۹۳.

[۱۴۸] سورة التوبة ۹: ۸۳.

[۱۴۹] سورة الفتح ۴۸: ۱۵.

[۱۵۰] الفِصَل ۴: ۱۰۹.

[۱۵۱] الفِصَل ۴: ۱۰۹.

[۱۵۲] سورة التوبة ۹: ۸۳ ـ ۸۴.

[۱۵۳] سورة التوبة ۹: ۸۵.

[۱۵۴] سنن الترمذی ۵ / ۳۷۱۵، سنن النسائی ۵ / ۸۴۱۶ كتاب الخصائص ـ بتخريج الَاثری / ۳۰، المصنّف، ابن أبی شيبة ـ فضائل علیّ ـ ۷ / ۱۸.

[۱۵۵] أخرجه: عبد الرزّاق، المصنّف ۱۱: ۲۲۶ / ۲۰۳۸۹، المصنّف، ابن أبی شيبة ـ فضائل علیّ ـ ۷ / ۲۳ و ۳۰، النسائی، السنن ـ كتاب الخصائص ـ / ۸۴۵۷، ابن عبد البرّ، الاستيعاب ۳: ۴۶.

[۱۵۶] مسند أحمد ۳: ۸۲، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ۹: ۴۶ رقم ۶۸۹۸، المصنف، ابن أبی شيبة ـ فضائل علیّ ـ ۷ / ۱۹، المستدرک ۳: ۱۲۳، البداية والنهاية ۷: ۳۹۸.

[۱۵۷] الِامامة والسياسة: ۱۲.

[۱۵۸] أُنظر: الاستيعاب بحاشية الِاصابة ۳: ۳۵، شرح نهج البلاغة ۶: ۱۶۷ ـ ۱۶۸.

[۱۵۹] مسند أحمد ۱، ۸۴ و ۸۸ و ۱۱۸ و ۱۱۹ ـ مرّتان ـ سنن النسائی ـ كتاب الخصائص ـ / ۸۵۴۲، البداية والنهاية ۵: ۲۲۹ ـ ۲۳۲ و ۷: ۳۸۳ ـ ۳۸۵ من نحو عشرين طريقاً.

[۱۶۰] أخرج أحمد حديث الغدير من تسع عشرة طريقاً، المسند ۱: ۸۴ و ۸۸ و ۱۱۸ ـ ثلاث مرّات ـ و ۱۱۹ ـ مرّتان ـ و ۱۵۲ و ۳۳۱، و ۴: ۲۸۱ و ۳۶۸ و ۳۷۰ و ۳۷۲ ـ مرّتان ـ و ۵: ۳۴۷ و ۳۵۸ و ۳۶۱ و ۳۶۲ و ۴۱۹. ولا يضاهيه إلّا حديث «مَن كذب علیَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار» فقد خرّجه من نحو ۲۵ طريقاً.

[۱۶۱] أُنظر: البداية والنهاية ۵: ۲۲۸ ـ ۲۳۳ و ۷: ۳۸۳ ـ ۳۸۶، فقد خرّجه من نحو ۴۰ طريقاً، بما فيها طرق حديث المناشدة المتقدّمة.

[۱۶۲] سنن الترمذی ۵ / ۳۷۱۳، سنن ابن ماجة ۱ / ۱۱۶ و ۱۲۱، الخصائص ـ للنسائی بتخريج الَاثری ـ / ۸۰ و ۸۲ ـ ۸۵ و ۹۰ و ۹۵ و ۱۵۳، المصنّف، ابن أبی شيبة ـ باب فضائل علیّ ـ ۷ / ۹ و ۱۰ و ۲۹ و ۵۵، المستدرک ۳: ۱۰۹ ـ ۱۱۰.

[۱۶۳] أُنظر: البداية والنهاية ۵: ۲۳۳.

[۱۶۴] لآلوسی، روح المعانی ۶: ۱۹۵ وما بعدها.

[۱۶۵] اُنظر: الفِصَل فی الملل والنحل ۴: ۱۶۱ و ۱۶۳، البدایهٔ والنهایهٔ ۷: ۲۹۰، الباعث الحثیث: ۱۸۲.

[۱۶۶] مسند أحمد ۴: ۴۳۷ ـ ۴۳۸، سنن الترمذی ۵ / ۳۷۱۲، الخصائص ـ للنسائی بتخریج الاَثری ـ / ۶۵ و ۸۶، المصنّف، ابن أبی شیبهٔ ـ فضائل علیّ ـ ۷ / ۵۸، الاِحسان بترتیب صحیح ابن حبّان ۹: ۴۱ / ۶۸۹۰.

[۱۶۷] مسند أحمد ۵: ۳۵۶، الخصائص ـ بتخریج الاَثری: / ۸۷.

[۱۶۸] مسند أحمد ۱: ۳۳۱، الخصائص ـ بتخریج الاَثری: / ۲۳، المستدرک ۳: ۱۳۴.

[۱۶۹] سورهٔ التوبهٔ ۹: ۷۱.

[۱۷۰] علماً أنّ التشیّع فی مصطلحهم: هو تفضیل علیٍّ علی عثمان، لا غیر، والطعن علی ملوک بنی اُمیّهٔ.

[۱۷۱] اُنظر: أبا إسحاق الاَثری فی تخریجه الحدیث ۶۰ من کتاب (الخصائص).

[۱۷۲] مسند أحمد ۱: ۳۳۱، ۴: ۴۳۸، ۵: ۳۵۶. وقد ذکرناها فی تخریج النصوص کلٌّ فی محلّه.

[۱۷۳] الاَثری، کتاب (الخصائص) للنسائی / ۸۷.

[۱۷۴] مسند أحمد ۱: ۳۳۱ من حدیث ابن عبّاس.

[۱۷۵] المستدرک ۳: ۱۳۳ ـ ۱۳۴ وتلخیصه للذهبی فی الصفحهٔ ذاتها، کتاب السُنّهٔ لابن أبی عاصم ـ بتخریج الاَلبانی ـ: ۵۵۲.

[۱۷۶] تاریخ الطبری ۲: ۲۱۷، الکامل فی التاریخ ۲: ۶۲ ـ ۶۴، السیرهٔ الحلبیهٔ ۱: ۴۶۱، شرح نهج البلاغهٔ ۱۳: ۲۱۰ و ۲۴۴ وصحّحه، مختصر تاریخ دمشق ـ لابن عساکر ـ ابن منظور ۱۷: ۳۱۰ ـ ۳۱۱، تفسیر البغوی (معالم التنزیل) ۴: ۲۷۸، تفسیر الخازن ۳: ۳۷۱ ـ ۳۷۲ نقلًا عن سیرهٔ ابن إسحاق، المنتخب من کنز العمّال ـ بهامش مسند أحمد ـ ۵: ۴۱ ـ ۴۲.

[۱۷۷] حین قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم ذلک لعلیّ، قام الناس یضحکون ویقولون لاَبی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیع.

[۱۷۸] البدایهٔ والنهایهٔ ۳: ۳۸ ـ ۳۹.

[۱۷۹] لسان المیزان ۴: ۴۲ رقم ۱۲۳.

[۱۸۰] لسان المیزان ۴: ۴۳.

[۱۸۱] البدایهٔ والنهایهٔ ۵: ۲۲۸.

[۱۸۲] صحیح مسلم ۴ / ۲۳۰۸ من عدّهٔ طرق.

[۱۸۳] سنن الترمذی ۵ / ۳۷۸۸، مسند أحمد ۳: ۱۷.

[۱۸۴] مسند أحمد ۵: ۱۸۲ و ۱۸۹.

[۱۸۵] منهاج السُنّهٔ ۴: ۸۵، الفرقان بین الحقّ والباطل: ۱۳۹.

[۱۸۶] أی: کُنِسْنَ.

[۱۸۷] أخرجه: النسائی، السنن ۵ / ۸۴۶۴، الاَثری، تخریج خصائص علیّ علیه السلام / ۷۶ وذکر له عدّهٔ مصادر، منها: مسند أحمد ۱: ۱۱۸، البزّار / ۲۵۳۸ ـ ۲۵۳۹، وابن أبی عاصم: ۱۳۶۵، والحاکم، المستدرک ۳: ۱۰۹، وأخرجه ابن کثیر، البدایهٔ والنهایهٔ ۵: ۲۲۸ وقال: قال شیخنا الذهبی: هذا حدیث صحیح، وأخرجه الیعقوبی، التاریخ ۲: ۱۱۲.

[۱۸۸] کانت خطبهٔ الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فی غدیر خمّ یوم ۱۸ ذی الحجّهٔ سنهٔ ۱۰ هـ ووفاته صلی الله علیه وآله وسلم یوم ۲ أو ۱۲ ربیع الاَوّل من سنهٔ ۱۱ هـ حسب الیعقوبی والطبری والکلینی، أو ۲۸ صفر، حسب الطبرسی.

[۱۸۹] مسند أحمد ۱: ۱۷۳ و ۱۷۵ و ۱۸۲ و ۱۸۴ و ۳۳۱، صحیح البخاری ـ فضائل علیّ ـ / ۳۵۰۳، صحیح مسلم ـ فضائل علیّ ـ /

۲۴۰۴، مصنّف ابن أبی شیبة ـ فضائل علیّ ـ ۷: ۴۹۶ / ۱۱ ـ ۱۵.

[۱۹۰] ابن حزم، الفِصَل ۴: ۹۴، ابن تیمیّة، منهاج السُنّة ۴: ۸۷ ـ ۸۸.

[۱۹۱] صحیح مسلم ـ فضائل علیّ ـ / ۳۲، الخصائص ـ بتخریج الاَثری ـ / ح ۹ و ۱۰ و ۴۳ و ۵۲، المصنّف، ابن أبی شیبة ـ فضائل علیّ ـ / ۱۵.

[۱۹۲] مسند أحمد ۱:۳۳۱، الخصائص ـ بتخریج الاَثری ـ / ۲۳، المستدرک ۳: ۱۳۲ ـ ۱۳۳ ـ ویأتی لاحقاً.

[۱۹۳] السیرة النبویة، لابن حبّان: ۱۴۹، وصحّحه سبط ابن الجوزی، تذکرة الخواصّ: ۲۳ نقله عن الاِمام أحمد فی المناقب، وقال: رجاله ثقات.

[۱۹۴] صحیح البخاری ـ الاَحکام / ۸۴۶۱، صحیح مسلم ـ الإمارة ـ / ۱۸۲۱ و ۱۸۲۲، مسند أحمد ۱: ۳۹۸ و ۴۰۶، سنن أبی داود / ۴۲۸۰، سنن الترمذی ـ کتاب الفتن ۴ / ۲۲۲۳، مصابیح السُنّة ۴ / ۴۶۸۰. لذا فإنّ قول الدکتور النشّار، نشأة الفکر الفلسفی فی الاِسلام ۱: ۴۴۸ و ۲: ۲۱۸: (إنّ فکرة ۱۲ خلیفة لا وجود لها فی الاِسلام) إنّما هی کبوة فارس.

[۱۹۵] الاحزاب ۳۳: ۳۳.

[۱۹۶] صحیح مسلم ـ فضائل الصحابة ـ / ۲۴۲۴، سنن الترمذی / ۳۲۰۵ و ۳۷۸۷ و ۳۸۷۱، مسند أحمد ۴: ۱۰۷ و ۶: ۲۹۱ و ۳۰۴، مصابیح السُنّة ۴: ۱۸۳ / ۴۷۹۶، أسباب النزول: ۲۰۰، وسائر کتب التفسیر عند هذه الآیة من سورة الاَحزاب.

[۱۹۷] سنن ابن ماجة ۲ / ۴۰۸۷.

[۱۹۸] مسند أحمد ۳: ۳ و ۶۲ و ۶۴ و ۸۰ و ۸۲.

[۱۹۹] سنن أبی داود / ۴۲۸۴، تاریخ البخاری ۳: ۳۴۶، مصابیح السُنّة / ۴۲۱۱.

[۲۰۰] أُنظر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۱۳: ۱۸۰ ـ ۱۸۳، إرشاد الساری لشرح صحیح البخاری ۱۵: ۲۱۲ ـ ۲۱۳، صحیح مسلم بشرح النووی ۱۲: ۲۰۱ ـ ۲۰۳، البدایة والنهایة ۶: ۲۷۸ ـ ۲۸۱.

[۲۰۱] العهد القدیم ـ سفر التکوین ـ إصحاح ۱۷: آیة ۲۰.

[۲۰۲] أُنظر: البدایة والنهایة ۶: ۲۸۰.

[۲۰۳] أُنظر: الاِمامة والسیاسة: ۱۲ ـ ۱۶، الکامل فی التاریخ ۲: ۳۲۹ ـ ۳۳۰.

[۲۰۴] سورة الشعراء ۲۶: ۲۱۴.

[۲۰۵] الطبقات الکبری ۳: ۲۱، سیرة ابن هشام ۱: ۲۲۸، کتاب الاَوائل: ۹۱ ـ ۹۳، البدء والتاریخ ۴: ۱۴۵، السیرة النبویة، ابن حبّان: ۶۷، جوامع السیرة، ابن حزم: ۴۵، السیرة النبویة، الذهبی: ۷۰، الاِصابة ۴: ۲۶۹.

[۲۰۶] مسند أحمد ۱: ۲۰۹، المستدرک ۳: ۱۸۳ وتلخیصه للذهبی، الخصائص ـ بتخریج الاَثری ـ / ۲ و ۳، تاریخ الطبری ۲: ۳۱۱، مجمع الزوائد ۹: ۱۰۳.

[۲۰۷] نهج البلاغة ـ شرح صبحی الصالح ـ: ۳۰۰ ـ ۳۰۱ خطبة ۱۹۲.

[۲۰۸] الخصائص ـ بتخریج الاَثری ـ / ۱۲۷ و ۱۲۸ و ۱۲۹.

[۲۰۹] الخصائص ـ بتخریج الاَثری ـ / ۱۲۰.

[۲۱۰] مسند أحمد ۵: ۲۶.

[۲۱۱] مسند أحمد ۱: ۲۳۰، سنن الترمذی ۵ / ۳۷۲۰، مصابیح السُنّة ۴ / ۴۷۶۹، الطبقات الکبری ۳: ۲۲، البدایة والنهایة ۷: ۳۷۱، دلائل النبوّة ـ للبیهقی ـ ۴: ۲۰۹.

[۲۱۲] سیرة ابن هشام ۲: ۱۰۹.

[۲۱۳] الإصابة ۲: ۳۰ ترجمة سعد بن عبادة.

[۲۱۴] المصنّف لابن أبی شیبة ـ فضائل علی ـ ۷ / ۱۷، سنن النسائی ۵ / ۸۴۰۲، الخصائص ـ بتخریج الأثری ـ / ۱۴ وصحّحه، المستدرک ۳: ۳۷ وصحّحه ووافقه الذهبی، سیرة ابن هشام ۳: ۲۱۶، تاریخ الطبری ۳: ۱۲، الکامل فی التاریخ ۲: ۲۱۹، البدایة والنهایة ۷: ۳۷۳.

[۲۱۵] ابن أبی شیبة، المصنّف ۷: ۴۹۷ / ۱۷ فضائل علیّ.

[۲۱۶] الحاکم والذهبی، المستدرک ۳: ۳۷ وتلخیصه.

[۲۱۷] مسند أحمد ۳: ۸۲، صحیح ابن حبّان ۹: ۴۶ / ۶۸۹۸، المصنّف لابن أبی شیبة ـ فضائل علیّ ـ ۷ / ۱۹، البدایة والنهایة ۷: ۳۹۸.

[۲۱۸] مسند أحمد ۱: ۳ و ۳۳۱ و ۳: ۲۱۲ و ۲۸۳ و ۴: ۱۶۴ و ۱۶۵، سنن الترمذی ۵ / ۳۷۱۹، سنن النسائی ۵ / ۸۴۶۱، الخصائص ـ بتخریج الأثری ـ / ۲۳ و ۷۲ و ۷۳ وصحّحها جمیعاً، البدایة والنهایة ۷: ۳۷۴ و ۳۹۴، تفسیر الطبری ۱۰: ۴۶.

[۲۱۹] مسند أحمد ۱: ۳۳۱، سنن الترمذی ۵ / ۳۷۲۲، الخصائص ـ بتخریج الأثری ـ / ۲۳ و ۴۱، البدایة والنهایة ۷: ۳۷۴ و ۳۷۹، فتح الباری ۷: ۱۳، الإصابة ۴: ۲۷۰.

[۲۲۰] الخصائص ـ بتخریج الأثری ـ / ۳۸.

[۲۲۱] سنن الترمذی ۵ / ۳۷۲۶، مصابیح السنة ۴ / ۴۷۷۳، جامع الاصول ۹ / ۶۴۹۳، البدایة والنهایة ۷: ۳۶۹.

[۲۲۲] الکامل فی التاریخ ۲: ۳۰۲، وانظر حجة الوداع فی سائر کتب السنن المفصّلة.

[۲۲۳] الخصائص ـ بتخریج الأثری ـ / ۱۱۲ ـ ۱۱۳، وخرجه علی النسائی وابن ماجة وابن خزیمة من وجوه.

[۲۲۴] طه ۲۰: ۱۳۲.

[۲۲۵] تفسیر القرطبی ۱۱: ۱۷۴، تفسیر الرازی ۲۲: ۱۳۷، روح المعانی ۱۶: ۲۸۴ والنصّ عنه.

[۲۲۶] السنن الکبری ۵: ۱۳۹ / ۸۴۹۳ و ۸۴۹۴.

[۲۲۷] منهاج السُنّة ۳: ۱۱ ـ ۱۲، المستدرک ۳: ۱۲۵، مجمع الزوائد ۹: ۱۳۰، الصواعق المحرقة: ۱۲۷ باب ۹ فصل ۱، تاریخ الخلفاء: ۱۶۱.

[۲۲۸] أبو حاتم الرازی: کتاب الزینة: ۲۵۹ تحقیق عبد الله سلّوم السامرّائی، محمّد کرد علی: خطط الشام، تاریخ ابن خلدون ۳: ۲۱۴ ـ ۲۱۵.

[۲۲۹] الاستیعاب ۳: ۵۵، تاریخ الیعقوبی ۲: ۱۲۴، تاریخ الطبری ۳: ۲۰۲، الکامل فی التاریخ ۲: ۳۳۵، شرح نهج البلاغة ۶: ۲۱.

[۲۳۰] أخرجه النسائی بإسناد صحیح فی السنن الکبری ۵: ۱۳۹ / ۸۴۹۵.

[۲۳۱] تاریخ الطبری ۴: ۵۵۷.

[۲۳۲] مروج الذهب ۳: ۲۱، وقعة صِفّین: ۱۱۸ ـ ۱۲۰، شرح نهج البلاغة ۳: ۱۸۸. وللرسالة تتمّة تأتی فی محلّها من بحث لاحق.

[۲۳۳] مسند أحمد ۴: ۲۸۱، تفسیر الرازی ۱۲: ۴۹ ـ ۵۰، سبط ابن الجوزی، تذکرة الخواصّ: ۲۹ ـ ۳۰.

[۲۳۴] سورة المائدة ۵: ۵۵.

[۲۳۵] روح المعانی ۶: ۱۶۷.

[۲۳۶] معالم التنزیل ـ للبغوی ـ ۲: ۲۷۲، الکشّاف ۱: ۶۴۹، تفسیر الرازی ۱۲: ۲۶، تفسیر أبی السعود ۲: ۵۲، تفسیر النسفی ۱: ۴۲۰، تفسیر البیضاوی ۱: ۲۷۲، فتح القدیر ـ للشوکانی ـ ۲: ۵۳، أسباب النزول ـ للواحدی ـ: ۱۱۴، لباب النقول ـ للسیوطی ـ: ۹۳.

[۲۳۷] أخرجه: عبد الرزّاق، وعبد بن حمید، وابن جریر، وأبو الشیخ، وابن مردویه، والخطیب فی (المتّفق والمفترق). أُنظر: فتح القدیر ـ للشوکانی ـ ۲: ۵۳.

[۲۳۸] مروج الذهب ۳: ۲۱، وقعة صِفّين: ۱۱۸، شرح نهج البلاغة ۳: ۱۸۸.

[۲۳۹] مروج الذهب ۳: ۸.

[۲۴۰] مجمع الزوائد ۹: ۱۴۶.

[۲۴۱] شرح نهج البلاغة ۱: ۱۴۳ ـ ۱۵۰.

[۲۴۲] تاريخ اليعقوبى ۲: ۱۷۱، وقعة صفين: ۱۰۳ ـ ۱۰۴، شرح نهج البلاغة ۳: ۸۱ ـ ۸۲، وأيضاً ۱: ۱۴۳ ـ ۱۵۰، فصل (ما ورد فى وصايا عليّ من الشِّعر) أورد فيه أربعاً وعشرين مقطوعةً للصحابة والتابعين، ثمّ قال: والاَشعار التى تتضمّن هذه اللفظة كثيرة جدّاً، تجلّ عن الحصر، وتعظم عن الاِحصاء والعدّ. وانظر أيضاً: الكامل ـ للمبرّد ـ ۲: ۱۷۰ ـ ۱۷۱ فى رثاء عليّ بن أبى طالب.

[۲۴۳] د. مصطفى حلمى، نظام الخلافة: ۱۵۷.

[۲۴۴] كما نقله الكشّى فى رجاله، ترجمة عبد الله بن سبأ.

[۲۴۵] د. محمّد عمارة، الخلافة ونشأة الاَحزاب الاِسلامية: ۱۵۵.

[۲۴۶] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۸: ۱۲۲.

[۲۴۷] مسند أحمد ۶: ۳۰۰، وصحّحه الهيثمى فى مجمع الزوائد ۹: ۱۱۲.

[۲۴۸] شرح نهج البلاغة ۱۲: ۲۱ عن أحمد بن أبى طاهر فى (تاريخ بغداد).

[۲۴۹] الجحف: التكبّر.

[۲۵۰] سورة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ۴۷: ۹.

[۲۵۱] سورة القلم ۶۸: ۴.

[۲۵۲] سورة الشعراء ۲۶: ۲۱۵.

[۲۵۳] سورة القصص ۲۸: ۶۸.

[۲۵۴] تاريخ الطبرى ۴: ۲۲۳، الكامل فى التاريخ ۳: ۶۳ ـ ۶۵، شرح نهج البلاغة ۱۲: ۵۳ ـ ۵۴.

[۲۵۵] أخرجه الزبير بن بكّار فى (الموفّقيّات)، وعنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ۹: ۹.

[۲۵۶] أحمد عبّاس صالح، مجلّة (الكاتب) القاهرية ـ يناير ۱۹۶۵ م، وعنه محمّد جواد مغنية، الشيعة فى الميزان: ۴۳۱.

[۲۵۷] تقدّم مع مصادره، راجع صفحة ۹۱.

[۲۵۸] سنن الترمذى ۵ / ۳۷۱۵، السنن الكبرى ـ للنسائى ـ ۵ / ۸۴۱۶. وقد تقدّم.

[۲۵۹] سنن النسائى ۵: ۱۲۸ / ۸۴۶۱.

[۲۶۰] نقل ابن أبى الحديد عن بعض مشايخه قوله: والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة فى كتب صُنِّفت قبل أن يُخلق الرضىّ بمائتى سنة (والشريف الرضى هو الذى جمع خطب الاِمام على عليه السلام ورسائله فى نهج البلاغة)! ثمّ قال: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى إمام البغداديّين من المعتزلة (مولده سنة ۲۷۹ هـ ووفاته سنة ۳۱۷، علماً أنّ الشريف الرضى وُلد سنة ۳۶۰ هـ). شرح نهج البلاغة ۱ / ۶۹. ونقلها سبط ابن الجوزى من مصادر غير التى اعتمدها الشريف الرضى، فقال: خطبة أُخرى وتعرف بالشقشقية، ذكر بعضها صاحب (نهج البلاغة) وأخلَّ بالبعض، وقد أتيتُ بها مستوفاة، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الاَنبارى بإسناده عن ابن عبّاس.. تذكرة الخواصّ: ۱۲۴. وأسندها الراوندى (ت/ ۵۷۳ هـ) فى شرحه إلى الحافظ ابن مردويه، عن الطبراني؛ بإسناده إلى ابن عبّاس. منهاج البراعة ۱: ۱۳۱ ـ ۱۳۲.

[۲۶۱] إشارة إلى قول أبى بكر: أقيلونى، أقيلونى.

[۲۶۲] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ الخطبة ۳.

[۲۶۳] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۱۰۲ الخطبة ۷۴.

[۲۶۴] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۲۴۶ الخطبة ۱۷۲.

[۲۶۵] شرح نهج البلاغة ـ لابن أبى الحديد ـ ۹: ۳۰۵.

[۲۶۶] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۲۴۶ الخطبة ۱۷۲.

[۲۶۷] شرح نهج البلاغة ـ لابن أبى الحديد ـ ۱: ۳۰۷ عن المدائنى.

[۲۶۸] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۴۷ الخطبة ۲.

[۲۶۹] أُنظر: نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: الخطبة ۸۸ و ۱۸۲.

[۲۷۰] د. محمّد عمارة، الخلافة ونشأة المذاهب الإسلامية: ۳۳ و ۱۵۷ ـ ۱۵۸.

[۲۷۱] معالم التنزيل ـ للبغوى ـ ۴: ۲۷۸، تاريخ الطبرى ۲: ۲۱۷، تفسير الخازن ۳: ۳۷۱ ـ ۳۷۲، مختصر تاريخ دمشق ۱۷: ۳۱۰ ـ ۳۱۱، شرح نهج البلاغة ۱۳: ۲۱۰، ۲۴۴، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ۵: ۴۱ ـ ۴۲.

[۲۷۲] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۲۰۱ الخطبة ۱۴۴.

[۲۷۳] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۱۱۹ الخطبة ۸۷.

[۲۷۴] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۱ ـ ۲۱۲.

[۲۷۵] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۱۴۳ الخطبة ۹۷.

[۲۷۶] نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحى الصالح ـ: ۱۱۹ الخطبة ۸۷.

[۲۷۷] مسند أحمد ۱: ۸.

[۲۷۸] السيوطى، مسند فاطمة: ۹۴ / ۲۲۴. المطبعة العزيزية ـ حيدر آباد ـ الهند ـ ط ۱ ـ۱۴۰۶هـ، ۱۹۸۶ م، تصحيح الحافظ عزيز بيك مدير لجنة أنوار المعارف بحيدر آباد.

[۲۷۹] آل عمران ۳: ۱۴۴.

[۲۸۰] المستدرك ۳: ۱۲۶، مجمع الزوائد ۹: ۱۳۴ وقال: رجاله رجال الصحيح.

[۲۸۱] العقّاد، فاطمة الزهراء والفاطميّون.

[۲۸۲] البقرة ۲: ۱۲۴.

[۲۸۳] ص ۳۸: ۲۶.

[۲۸۴] السجدة ۳۲: ۲۴.

[۲۸۵] النساء ۴: ۶۴.

[۲۸۶] النساء ۴: ۵۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَـيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشّهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ الله – كان أحداً من جهابذة هذه

المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرّضا (علیه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفتَرَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹